الكوفة كنز الإيمان

دراسة جديدة مقارنة تتناول صورة العراقيين وأهل الكوفة في نظر أهل البيت عليهم السلام وخصومهم

٨ـ لوحة صخرية كتب عليها آية الكرسي ، من آثار جامع الكوفة ، وجدت في اعلى محراب نوح ثم نقلت الى جانب محراب امير المومنين في منتصف السور الجنوبي للجامع

تأليف: د. الشيخ حسين المياحي

إصدارات مركز فجر عاشوراء الثقافي ـ التابع للعتبة الحسينية المقدسة

٢٠٢٤ـ١٤٤٦هـ

مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العراق - النجف الأشرف
حي الغدير
هاتف : ٩٦٤٧٧٢٨٢٢٠٥٤٣+
fajrashura@fajrashura.com

عنوان الإصدار	:	الكوفة كنز الإيمان
تأليف	:	د. الشيخ حسين المياحي
سنة الإصدار	:	١٤٤٦/٢٠٢٤ - رقم (٦٠)
نوع الإصدار	:	إلكتروني - PDF
الناشر	:	مركز فجر عاشوراء الثقافي
الموقع	:	fajrashura.com

جميع الحقوق محفوظة © لمركز فجر عاشوراء الثقافي، يُسمح بالنَّشر غير النفعي الإلكتروني ويسمح بالاقتباس مع ذكر المصدر ولا يسمح بتغيير جزء من أجزاء هذا الملف أو طباعته في المطابع دون إذن رسمي من المركز

عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقال لنا: ممن أنتم؟

فقلنا له: من أهل الكوفة،

فقال لنا: إنه ليس بلد من البلدان، ولا مصر من الأمصار، أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة> إن الله هداكم لأمر جهله الناس، فأحببتمونا وأبغضنا الناس، وصدّقتمونا وكذبنا الناس، واتّبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا. فأشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما تَقرُّ به عينُه، إلا أن تبلغ نفسه هاهنا، وأومأ بيده إلى حلقه.

المحتويات

المقدمة ٨

الفصل الأول: صورة العراق في الأحاديث والأخبار الأموية والعباسية ١٤

أ ـ قرن الشيطان ١٤

ب ـ قتلة علي والحسن والحسين عليهم السلام ١٨

١ ـ عبد الله بن عمر ١٨

٢ ـ ما نُسب لأمّ سلمة ٢٠

٣ ـ عبد الله بن الزبير ٢٣

٤ ـ أحمد بن هشام ٢٥

٥ ـ عمرو بن الحارث ٢٦

٦ ـ ما نُسب لسكينة بنت الحسين عليها السلام ٢٨

٧ ـ أبو بكر الهذلي ٣٠

ج ـ أهل الشقاق والنفاق ٣٠

١ ـ ما نُسب لعائشة ٣١

٢ ـ معاوية بن أبي سفيان ٣٢

٣ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي ٣٥
٤ ـ عبد الله بن الزبير ٣٨
٥ ـ مصعب بن الزبير ٣٨
٦ ـ عثمان بن حيان المري الدمشقي ٣٩
٧ ـ المنصور الدوانيقي ٤١
٨ ـ عبد الله بن عمر ٤٤
د ـ مسكن الشيطان وأعوانه ٤٨
١ ـ ما نُسب لعمر بن الخطاب ٤٨
٢ ـ كعب الأحبار ٥١
٣ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي ٥٢
هـ ـ سحرةٌ كفرة ٥٤
و ـ المدرة الخبيثة ٥٥
١ ـ الحجاج الثقفي ٥٥
٢ ـ المنصور الدوانيقي ٥٦
ز ـ أهل الغدر والخيانة والخذلان ٥٨
١ ـ ما نسب لابن عباس ٥٩
٢ ـ عبد الله بن الزبير ٦١
٣ ـ العباس بن الوليد بن عبد الملك الأموي ٦٤
٤ ـ عمرو بن العاص ٦٥
٥ ـ المنصور الدوانيقي ٦٧

٦ ـ داود بن علي العباسي ٦٧
٧ ـ الخليل بن هشام ٦٩
٨ ـ ما نُسب لزيد بن علي ٦٩
٩ ـ ما نُسب لسلمة بن كهيل ٧٠
ح ـ أوصاف أخرى متفرقة ٧٤
الفصل الثاني: صورة العراق في الأحاديث العلوية والواقع التاريخي ٧٦
أولاً ـ النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ٧٧
١ ـ الكافي ٧٨
٢ ـ كامل الزيارات ٨٠
٣ ـ تفسير فرات الكوفي ٨٢
٤ ـ طبقات ابن سعد ٨٣
٥ ـ شرح نهج البلاغة ٨٣
٦ ـ الغارات ٨٦
٧ ـ تاريخ الطبري ٨٦
٨ ـ الجمل ٨٧
٩ ـ وقعة صفين ٨٨
١٠ ـ من لا يحضره الفقيه ٨٩
١١ ـ تهذيب الأحكام ٩٠
١٢ ـ تاريخ الإسلام ٩١

ثانياً ـ أئمة أهل العراق ٩١
ثالثاً ـ الواقع التاريخي ٩٢
أ ـ العراقيون في معارك علي عليه السلام ٩٣
١ ـ وقعة الجمل ومعارك البصرة ٩٣
٢ ـ حرب صفين ٩٨
٣ ـ يوم النهراوان ١٠٤
ب ـ جهاد شيعة العراق عبر التاريخ ١٠٧
ج ـ علم أهل العراق ١١١
نتيجة البحث..... ١١٢

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين
محمد وآله الطاهرين

ليس التاريخ قصصاً وأحداثاً ووقائع مسطورة نقرأها كما نقرأ سائر القصص، للتسلية أو تنمية الخيال أو إثراء اللغة، أو غير ذلك، إنما يشكل حجر الأساس الذي تُبنى عليه الكثير من الرؤى والمواقف والاعتقادات، فهو الماضي اللصيق بالحاضر، والمحرك له بشكل أو بآخر. فلا يكمن بحال من الأحوال قطع الصلة بالماضي بما يمثله من مصدر للعقيدة والشريعة والأخلاق والأدب والسياسة والعلوم وغير ذلك.

فالتاريخ الإسلامي عندنا خضع للكثير من العوامل والمؤثرات التي جعلته معقداً تعقيداً عميقاً، حتى لا تكاد تعثر على الحقيقة إلا بشق الأنفس، بعد بحث طويل، وقد لا تعثر عليها مطلقاً، لكثرة الاختلاف في الروايات التي تنقل الحادثة الواحدة،

واختفاء الكثير من حيثياتها الضرورية، كما في ذكر اليوم الذي وقعت فيه، والشهر. أما السنوات فهي أهون من ذلك بدرجة كبيرة.

لقد تصدى لكتابة التاريخ -بشكل رئيس- مؤرخو السلطات المتعاقبة على الحكم، لا سيما السلطة العباسية، مستعينة بأقلام ورواة لا يخرجون عن الهوى العباسي وما تقتضيه مصالح خلفاء البلاط والأمراء والولاة. كما أنه كان في الكثير من الأحيان وسيلة للارتزاق، أو تصفية للحسابات مع الخصوم في العقيدة أو القومية أو القبيلة أو السياسة أو غيرها من العناوين ذات العلاقة بحُمى الصراعات الدائمة بين الفرق والجماعات والتيارات المختلفة على امتداد الأزمنة.

ومن هنا يصبح من البديهي القول: إن المؤرخ لم يكن محايداً ولا موضوعياً إطلاقاً، ومن يعتقد ذلك فإنه يفتح على نفسه منذ البداية باب التضليل وضياع الحقيقة، ليكون في نهاية المطاف، أسيراً بل ضحية للكثير من الكذب والتحريف والتزييف.

إنّ المؤرخ (الإسلامي) لا يمكن أن يكون محايداً ولا موضوعياً في نقل الأحداث، حتى إن أراد

ذلك وأجهد نفسه وحاول، فهو بدوره أسير أيضاً للكثير من العصبيات، أو المخاوف والتهديدات، أو العقائد، أو المصالح، التي تجعل قلمه يحيد يميناً أو شمالاً، بدرجة أو بأخرى، فضلاً عن أن يكون أجيراً بالمطلق لجهة سياسية أو مرتزقاً يعتاش على ما يكتبه لمن يرتجي نواله.

ولا نعني بالمؤرخ هنا المعنى الخاص للتاريخ، إنما يتعدى ذلك لما ورد في كتب الحديث والأدب والتفسير وأمثالها من المجالات التي نقلت الحوادث والوقائع، أي أننا نعني التاريخ بعنوانه العام المعني بنقل الحوادث والوقائع.

لقد كتب التاريخ العام بطريقة الحكايات والأخبار المنقولة شفاهاً، ونادراً ما تجد حوادث شاهدها المؤرخ بنفسه، بل حتى لو شاهدها فإنها لا تتعدى سنيّ عمره، والأمكنة التي استطاع التواجد فيها أثناء حصول الحادثة. ومن هنا ضُبطت تلك الحوادث بما تلقاه الراوي أو المؤرخ شفاهاً من أفواه الرواة، أو كتبوه إليه نقلاً عمّن شاهدها، ليكون النقل حديثاً عن حديث، سماعاً أو كتابة، وكلها لا تمتلك وثيقة مباشرة من ساحة وقوع الحادثة.

فلا تجد في تاريخنا وثائق مادية للحوادث المنقولة، كما في الرقم الطينية والألواح والآثار التي يُعثر عليها في الحفريات، أو المحفوظة في المتاحف، كما أن وسائل الضبط والنقل - كالتصوير والتسجيل الصوتي - لم تكن موجودة آنذاك.

والنتيجة أننا لا طريق لنا في معرفة ما جرى من أحداث الماضي إلا النقل الشفهي الذي تم تدوينه فيما بعد. والوثيقة الوحيدة التي لا بد أن نتعامل معها هي طبيعة الرواة الذين نقلوا الحوادث، أو كتبوها، وهو ما يعرف بالسند. فهؤلاء هم القناة الوحيدة التي أوصلت إلينا أخبار الماضي تفصيلاً أو إجمالاً.

وعليه: لا بد من تقبّل هذه الحقيقة والتعامل معها في استجلاء الحقيقة، إذ لا يمكننا الاستغناء عن التراث التاريخي مع كل ما فيه ملاحظات، وما عصفت به من عوامل ومؤثرات، لأن التاريخ - كما ذكرنا سابقاً - يمثل الزاد اليومي لحاضرنا في الكثير من المجالات. فلا يمكن الحكم عليه بالسلب المطلق، بحيث نستغني عنه جملة وتفصيلاً، كما لا يمكن تلقي أخباره بثقة مطلقة جملة وتفصيلاً.

وفي هذا البحث نحاول استكشاف دعوى

تاريخية اشتهرت عبر الأزمان، مفادها شيطنة أهل العراق وشيعة الكوفة بالخصوص، ووصفهم بشتى الأوصاف الشنيعة المقذعة، كالشقاق والنفاق والغدر وخذلان الأئمة عليهم السلام وقتلهم، ورميهم بكل ما في قاموس القبائح من صفات.

وقد اتبعنا في ذلك منهجاً علمياً، حاولنا فيه قدر المستطاع الحياد والموضوعية، على أن نصل في نهاية المطاف إلى الحقيقة، انطلاقاً من التاريخ نفسه، واعتماد الوسائل والأدوات التي تكشف لنا الحقيقة، أو تجعلنا نقترب منها أكثر.

وقد قسمنا هذا البحث إلى أربعة فصول، لكننا آثرنا نشر الفصلين الأول والثاني منه، نزولاً عند رغبة الكثير من القراء من النخب الدينية والثقافية، الذين قرأوا بعضاً منه فيما ننشره من مقالات مستقلة، أو استمعوا إلى بعض المحاضرات التي ألقيناها متوازية مع البحث.

وهذان الفصلان هما:

الأول ـ صورة العراق في الأحاديث والأخبار الأموية والعباسية.

الثاني ـ صورة العراق في الأحاديث العلوية

والواقع التاريخي.

أما الثالث والرابع فتركناهما لحين إتمامهما بالكامل، وهما:

الثالث ـ ما نسب لأئمة أهل البيت عليهم السلام من ذم أهل العراق أو أهل الكوفة.

الرابع ـ قراءة جديدة في نهضة الحسين عليه السلام وموقف العراقيين منها.

وقد اعتمدنا منهج الاستقراء، ثم المقارنة والتحليل والنقد، للوصول إلى نتيجة مرضية للقارئ، وقبل ذلك مرضية لله تعالى.

ونسأله تعالى أن يجعلنا ممن لا يريد في ما يكتب إلا وجهه الكريم، بعيداً عن العصبيات والأهواء.

والحمد لله رب العالمين.

د. الشيخ حسين المياحي

الأول من صفر، سنة ١٤٤٦

الفصل الأول: صورة العراق في الأحاديث والأخبار الأموية والعباسية

عند جمع واستقراء الأخبار الواردة من طريق الرواة والمؤرخين ذوي الميول الأموية والعباسية والزبيرية، بشأن أهل العراق، أو أهل الكوفة، يمكن تصنيفها إلى أصناف، بحسب العبارات والأوصاف المستخدمة.

وقد استخلصنا من خلال الاستقراء والتصنيف الأوصاف والتعابير التالية:

أ- قرن الشيطان:

نجد هذا الوصف في بعض الأحاديث الواردة عن العامة، ومنها ما ورد في صحيح مسلم «عن سالم بن عبد الله بن عمر يقول: **يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة. سمعت أبي عبد الله بن عمر** يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الفتنة تجيء من هاهنا. **وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قَرنا الشيطان، وأنتم**

يضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

وفي المعجم الكبير للطبراني: «عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك في يمننا، فقالها مراراً. فلما كان في الثالثة أو الرابعة قالوا: يا رسول الله، وفي عراقنا؟ قال: إن بها الزلازل والفتن وبها يطلُع قرن الشيطان»[2].

إلا أننا نجد في صحيح البخاري، وغيره، أن «قرن الشيطان» هو نجد. وفي رواية أخرى للبخاري أنه أشار إلى بيت عائشة. وأن هذا الحديث نفسه روي عن ابن عمر. وقد حَرّف الوهابية اليوم - ومنهم الألباني - معنى نجد إلى (العراق) مع أن العراق لم يعرف بهذا الاسم، ولا حتى بهذا الوصف، فهو أرض سهلية منبسطة من جهة الحجاز.

قال الألباني: قلت: وطرق الحديث[3] متضافرة على أن الجهة التي أشار إليها النبي ﷺ إنما هي المشرق، وهي على التحديد العراق، كما رأيت في

(١) صحيح مسلم ٨: ١٨٢.
(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٢: ٢٩٣.
(٣) أي حديث البخاري.

بعض الروايات الصريحة، فالحديث علم من أعلام نبوته ﷺ **فإن أول الفتن كان من المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة، كبدعة التشيع والخروج ونحوها**[1].

وقال الألباني: «وقد تحقق ما أنبأ به عليه السلام، **فإنّ كثيراً من الفتن الكبرى كان مصدرها العراق**، كالقتال بين سيدنا علي ومعاوية، وبين علي والخوارج، وبين علي وعائشة، وغيرها مما هو مذكور في كتب التاريخ[2].

أقول: أما القتال بين علي عليه السلام ومعاوية فهو فتنة معاوية وأهل الشام، ولا ذنب للعراق بها، إلا مناصرة علي عليه السلام لوأد الفتنة. ولولا معاوية لما كان للعراق فيها ناقةٌ ولا جملٌ. بل حتى مقتل عثمان واستخلاف علي عليه السلام حصل في المدينة وليس في العراق. فهل يريد القول: إن علياً عليه السلام كان رأس الفتنة وليس معاوية؟

---

(١) موسوعة الألباني في العقيدة: ٨: ٢٦٦. باب: من أعلام النبوة التنبؤ بخروج الفتن من العراق.
(٢) المصدر السابق ٨: ٢٦٧.

ومثلها القتال في البصرة بين علي وعائشة، فقد هاجم الجيش القادم من مكة، بقيادة طلحة والزبير وعائشة ولاية البصرة، فاستولوا عليها غدراً، وكان أهل العراق في تلك المعركة مع علي عليه السلام الذي قال في نهايتها: **فقأتُ عين الفتنة**. فهي فتنة أصحاب الجمل وليس العراق، اللهم إلا إذا أراد أن علياً عليه السلام صاحب فتنة.

وأما فتنة الخوارج فكانت على أثر التحكيم، فهي الوليد غير الشرعي لفتنة معاوية. وقد ابتلي بها أمير المؤمنين عليه السلام وأهل العراق قبل غيرهم، ولا يمكن حسابها على جمهور أهل العراق.

ولكن، ماذا عن فتنة السقيفة وبيعة الفلتة؟ وماذا عن حروب مانعي الزكاة؟ وماذا عن اغتيال عمر في المدينة؟ وماذا عن حصار عثمان وقتله على يد المصريين والمدنيين؟ وماذا عن مهاجمة مكة والمدينة على يد الأمويين؟ وماذا عن حصار ابن الزبير وسط الحرم؟ ثم ماذا عن فتنة الوهابية في العصور المتأخرة وقتلهم أهل الجزيرة العربية وتدمير ديارهم؟ ثم ما نتج عنها اليوم من مسمّيات داعش وغيرها؟ فهل هذه الفتن كانت في العراق؟!

ب ـ قتلة علي والحسن والحسين عليهم السلام :

هذه التهمة المفتراة على العراق وأهله تبناها جميع من خالف أهل البيت عليهم السلام لا سيما الحكام الطغاة الذين ولغوا في دماء العراقيين فلم يرتووا. وقد جهدوا في نشرها بين الناس حتى انخدع بها الكثير من الشيعة قديماً وحديثاً. وسوف نذكر جانباً مما روي عن الولاة والأمراء والرواة والشخصيات الأخرى:

١ ـ عبد الله بن عمر:

في صحيح البخاري بسنده عن محمد بن أبي يعقوب: «سمعتُ ابن أبي نُعْم، سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المحرم، قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب. فقال: **أهل العراق يسألون عن الذُّباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم**، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: هما ريحانتاي من الدنيا»[1].

وفيه أيضاً: «عن ابن أبي نُعْم قال: كنت شاهداً

(١) صحيح البخاري ٤: ٢١٧.

لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: **انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وسلم**. وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: هما ريحانتاي من الدنيا»[1].

وروى أحمد في مسنده «عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وسأله رجل عن شيء، قال شعبة: وأحسبه سأله عن المُحرم يقتل الذباب، فقال عبد الله: **أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم**. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هما ريحانتي من الدنيا»[2].

وعنه أيضاً: «جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس، فسأله عن دم البعوض، فقال له: ممن أنت؟ قال من أهل العراق، قال: **ها انظروا إلى هذا، يسأل عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم**. وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هما ريحانتي من الدنيا»[3].

---

(١) صحيح البخاري ٧: ٧٤.
(٢) مسند أحمد ٢: ٨٥. صحيح ابن حبان ١٥: ٤٢٥.
(٣) مسند أحمد ٢: ٩٣. سنن انظر كذلك: سنن الترمذي ٥: ٣٢٢.

وفيه كذلك: «فجاء رجل يسأل عن دم البعوض فقال له ابن عمر: ممن أنت؟ قال: أنا من أهل العراق، قال: **انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم**. وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هما ريحانتي من الدنيا»[1].

وها أنت ترى سخف الجواب عن مسألة فقهية لا علاقة لها بقتل الحسين عليه السلام ولا علاقة للسائل بذلك، لكن النبض الأموي يضطرب في العروق، فلا تكاد تفوته أي فرصة للطعن بأهل العراق.

٢ـ ما نُسب لأمّ سلمة:

نسبوا لأم سلمة أيضاً أنها لعنت أهل العراق لقتلهم الحسين عليه السلام:

ففي مسند أحمد: « حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، ثنا عبد الحميد، يعني ابن بهرام، قال: حدثني شهر بن حوشب قال: سمعت أمَّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق

(١) مسند أحمد ٢: ١١٤. و ٢: ١٥٣.

فقالت: قتلوه قتلهم الله، غرُّوه وذلُّوه لعنهم الله»[1].

ثم يُكمل شهر بن حوشب روايته المذكورة عن أم سلمة بقولها: «فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته فاطمة غديّةً بِبُرمة، قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه. فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت. قال: فاذهبي فادعيه وائتني بابنيه. قالت: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد وعلي يمشي في أثرهما... قلت: يا رسول الله ألست من أهلك؟ قال: بلى! فادخلي في الكساء. قالت: فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم»[2].

ومانُسب لأم سلمة ليس فيه ذكرٌ لـ«أهل العراق»، إنما هو من كلام شهر بن حوشب، وهذا حال الكثير من الرواة والمؤرخين الأمويين والعباسيين، وعلماء السوء المرتبطين بهم، فكثيراً ما «يُدرجون» في الرواية ما يوجّه الأذهان باتجاه أهل العراق، أو أهل الكوفة، لتوجيه الأذهان مسبقاً نحوهم، وهنالك

(١) مسند أحمد ٦: ٢٩٨.
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢٩٨.

الكثير من أمثال ذلك.

وعند الرجوع لحال الراوي الذي نسبها لأم سلمة، وهو شهر بن حوشب، نجد أنه: شامي، حمصي، توفي سنة ١١١ هـ، وهو أحد التابعين، كان مولى لأسماء بنت يزيد الأنصارية[١]، وهو من محدثي الأمويين أيام الحجاج، وقد قدم عليه في الكوفة.

ومن أخباره أنه كان على بيت المال أيام يزيد بن المهلب، فسرق خريطة فيها دراهم، فقيل فيه:

لقد باع شهرٌ دينَه بخريطةٍ
فمن يأمنُ القُرّاءَ بعدك يا شهرُ
أخذتَ بها شيئاً طفيفاً وبعتَه
من ابن جريرٍ إنّ هذا هو الغدرُ

وقد حاول الذهبي نفي السرقة عنه، أو تبريرها بقوله: «قلت: إسنادها منقطع، ولعلها وقعت، وتاب منها، أو أخذها متأولاً أن له في بيت مال المسلمين حقاً، نسأل الله الصفح»[٢].

---

(١) ظاهرة الموالي ودورهم في كتابة التاريخ ونقل الروايات، من الظواهر الخطيرة التي تستحق الدراسة، خصوصاً أولئك الذين انخرطوا في السلك السلطوي الأموي والعباسي، فأصبحوا من علماء البلاطين.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٧٥.

٣ـ عبد الله بن الزبير:

وهو معروف بنصبه لأهل البيت عليهم السلام وعدائه غير المحدود لشيعتهم، كما أعقب ذريةً أشد نصباً وعداءً منه، ساهمت بشكل كبير في تزوير تاريخ العراق، وأهل الكوفة، وشيعة علي عموماً، ومنهم الزبير بن بكار، وعمّه مصعب بن عبد الله.

فمن ذلك ما راه عنه حفيده مصعب في نسب قريش، قال: «وأخبرت عن هشام بن يوسف الصنعاني، عن معمر، قال: سمعت رجلاً يُحدّث، قال: سمعت الحسين بن علي يقول لعبد الله بن الزبير: أتتني بيعة أربعين ألف رجل من أهل الكوفة[1]، أو قال: من أهل العراق. فقال له عبد الله بن الزبير: **أتخرج إلى قوم قتلوا أباك، وأخرجوا أخاك؟**. قال هشام بن يوسف: فسألت معمراً عن الرجل، فقال: هو ثقة. وزعم بعض الناس أن ابن

(١) الاختلاف في أعداد المبايعين في كتب التاريخ لا حصر له، وهو بحدّ ذاته يُنبئ عن التلاعب والتزوير لتضخيم الأعداد، ثم اتهامها بالخيانة والغدر وعدم الوفاء والثبات على العهد. وبالمقابل تقليل عدد أنصار مسلم بن عقيل الذين نهضوا معه في الكوفة، وأنصار الحسين عليه السلام في كربلاء.

عباس هو الذي قال»[1].

والمفت للنظر هنا، أن هشام بن يوسف، يسأل معمراً عن الراوي المباشر، الذي يُفترض أنه سمع الحسين عليه السلام فيخبره أنه ثقة، ولكن لا يخبره عن اسمه!.

وقد نسب الطبري إلى أبي مخنف أنه روى خلاف ذلك عن ابن الزبير، أي أنه حثّ الحسين عليه السلام على الخروج للكوفة، وقال له: «أما لو كان لي بها مثل شيعتك، ما عدلت بها»[2]. والرواية في الطبري عن أبي مخنف، عن الحارث بن كعب الوالبي، عن عقبة بن سمعان. وهو المعروف من سيرة الزبير مع الحسين عليه السلام ورغبته الشديدة أن يخرج من مكة، ليخلو له الجو.

أما الرواية عن ابن عباس، التي قال عنها مصعب: «وزعم بعض الناس أن ابن عباس هو الذي قال» فقد وردت في الطبري أيضاً عن أبي مخنف. ولكن ليس فيها قوله: «قتلوا أباك وأخرجوا أخاك...» إنما

---

(١) نسب قريش: ٢٣٩. تاريخ دمشق ١٤: ٢٠٣. عن الزبير بن بكار، عن عمّه مصعب.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٧.

وردت بألفاظ أخرى عن ابن عباس، تأتي لاحقاً في وصف أهل العراق بالغدر على لسان هؤلاء.

ووردت في مصنف ابن أبي شيبة الكوفي عن ابن عباس بلفظ: «إلى أين تخرج ؟ **إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك**»[1].

ونسبها ابن عساكر إلى عبد الله بن عمر، أنه قال للحسين عليه السلام: «إن أهل العراق قوم مناكير، **وقد قتلوا أباك وضربوا أخاك، وفعلوا وفعلوا**»[2].

فهي منسوبة لعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر. مما يعني أن التاريخ الأموي والعباسي، الذي كتبه الزبيرون وأمثالهم، يعنيهم الوصف المذكور لأهل العراق، أكثر مما يعنيهم ضبط نسبته إلى الراوي.

٤ـ أحمد بن هشام:

وهو أحد أفراد حاشية المأمون، وكان على شرطة طاهر بن الحسين.

ففي كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني

---

(١) المصنف ٨: ٦٣٢. انظر كذلك: المزي، تهذيب الكمال ٦: ٤١٦.
(٢) تاريخ دمشق ١٤: ٢٠١.

(٣٤٠هـ): «قال علي بن هشام[١]: **فإنّ أهل الكوفة قتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.** قتله ابن ملجم وكان نازلاً في دار الأشعث وتزوج قطام التميمية»[٢].

فأجابه أحمد بن يوسف بقوله: «احتججت على نفسك. إن كان من أهل الكوفة فكيف ينزل دار الأشعث ويترك دار قومه؟ إنما هو رجل من مصر ممن كان مع محمد بن أبي بكر رحمه الله. فلما قتله عمرو بن العاص ومضى جنده إلى علي رضي الله عنه كان ابن ملجم فيهم»[٣].

وقد عمل العباسيون في أيامهم على إثارة النعرات بين الكوفة والبصرة، ليتهم بعضهم بعضاً بمحاربة أهل البيت عليهم السلام وقتلهم. وهذه المحاورات جرت بحضور المأمون وبتوجيه منه كما ذكر ابن الفقيه الهمداني.

٥ـ عمرو بن الحارث:

في كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني أيضاً:

---

(١) الصواب ما ذكرناه.
(٢) البلدان: ٢٥٢.
(٣) البلدان: ٢٥٢.

قال عمرو بن الحارث: «فإن أهل الكوفة قد قتلوا الحسين عليه السلام. وقد قتلوا زيد بن علي ويحيى بن زيد عليهما السلام وغروهما وخذلوهما»[1].

فأجابه العباسي[2] بقوله: «قد علم الناس أنه ليس في الأرض بلدٌ أجمع أهلُه على حبّ بني هاشم إلا الكوفة. وما قُتل أحد من بني هاشم في شرق ولا غرب إلا وحوله قتلى من أهل الكوفة تختلط دماؤهم بدمه... فهل سمع سامع بمثل أنصار الحسين وهم سبعون رجلاً لقوا جبال الحديد حتى قُتلوا حوله؟»[3].

وعمرو بن الحارث: هو ابن يعقوب الأنصاري المصري، المدني الأصل (٩١-١٤٨ هـ). كان مولى[4] للأنصار فعُرف بهم. وكان راوياً وفقيهاً ومقرئاً، من حاشية البلاط العباسي، مؤدِّباً لصالح بن علي الهاشمي، عمّ السفاح والمنصور. ولاه السفاح مصر

---

(١) البلدان: ٢٥٣.

(٢) الظاهر من الرواية أنه أحمد بن يوسف كاتب المأمون، وكان يتعصب لأهل الكوفة.

(٣) البلدان: ٢٥٣.

(٤) هذا أيضاً من الموالي الذين أشرنا سابقاً إلى أنهم شكلوا ظاهرة تستحق التوقف في نقل الدين والتاريخ، لاستجلاء أثرهم في ما نقلوا.

أوائل سنة ١٣٣ هـ، ثم ولاه فلسطين وأفريقيا. وقيل: كان مؤدباً لبنيه وليس له، أو لولده الفضل.

قال الليث بن سعد: «كنت أرى عمرو بن الحارث عليه أثوابٌ بدينار: قميصه ورداؤه وإزاره، ثم لم تمض الأيام والليالي حتى رأيته يجر الوشي والخز، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[١].

وروى عباس الدوري عن يحيى بن معين أنه قال: «كان عمرو بن الحارث يعلّم ولد صالح بن علي الهاشمي، وكان سيئ الحال، فلما علّمهم وحسن حاله صار يلبس الوشي والخز»[٢].

٦ـ ما نُسب لسكينة بنت الحسين عليها السلام:

نسبوا ذلك أيضاً إلى سكينة بنت الحسين عليها السلام بعد أن افتروا عليها أنها تزوجت مصعباً الزبيري الناصبي.

فقد روى ابن قتيبة الدينوري، وابن الفقيه الهمداني، وأبو الفرج الإصفهاني، أن سكينة بنت الحسين عليها السلام لما قتل (زوجها) مصعب «أرادت

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء٦: ٣٥٢. انظر كذلك: الذهبي، تذكرة الحفاظ١: ١٨٤.

(٢) تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري٢: ٣٥٥.

الرحيل إلى المدينة، وكانت بالكوفة. فقال لها أهل الكوفة: يا بنت رسول الله، أحسن الله صحابتك، وفعل بك وفعل. فقالت: **يا أهل الكوفة، لا أحسن الله صحابتكم. فلقد قتلتم جدي علياً، وعمي الحسن، وأبي الحسين، وبعلي مصعباً.** فأيتمتموني صغيرة وآيمتموني كبيرة. فلا أحسن الله عليكم الخلافة ولا رفع عنكم السوء»[1].

وفي لفظ أبي الفرج الإصفهاني: «**قتلتم جدي علياً، وأبي الحسين، وأخي علياً، وزوجي مصعباً**»[2].

وقد نقل السيد محسن الأمين العاملي رحمه الله، رواية أبي الفرج في الأغاني، ثم علق عليها قائلاً: «ولكنني أقول لها: إنّ أهل الكوفة شيعتكم ومحبوكم وناشرو فضائلكم قديماً وحديثاً دون غيرهم»[3]. وكان الأولى بالسيد الأمين أن يقول ذلك لمن كذب على سكينة بنت الحسين، فنسب لها ذلك، إمعاناً في القدح والطعن بشيعة أهل الكوفة. فقد وُضعت الكثير من الأكاذيب حتى على لسان أئمة

(١) البلدان: ٢٢٥.
(٢) الأغاني ١٦: ٣٧١.
(٣) أعيان الشيعة ٣: ٤٩٢.

أهل البيت عليهم السلام في ذم شيعتهم في الكوفة والعراق عموماً، لأنها أدعى للنفوذ لأذهان الشيعة أنفسهم، وسوف نناقشها في فصل مستقل إن شاء الله تعالى.

٧ـ أبو بكر الهذلي:

واسمه سلم (أو سلمي) بن عبد الله، وهو من رواة العامة المعروفين عندهم بالكذب[١].

جاء في كتاب البلدان عن أبي بكر الهذلي: «إن أهل الكوفة قطعوا الرحم، ووصلوا المثانة، كتبوا إلى الحسين بن عليّ إنّا معك مائة ألف وغرّوه، **حتى إذا جاء خرجوا إليه فقتلوه وأهل بيته صغيرهم وكبيرهم**، ثم ذهبوا يطلبون دمه، فهل سمع السامعون بمثل هذا»[٢].

ج ـ أهل الشقاق والنفاق:

وتكاد هذه الصفة تكون الأشهر بين الصفات

---

(١) في تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري: سمعت يحيى يقول: أبو بكر الهذلي لم يكن بثقة. قال يحيى: قال غندر: **كان أبو بكر الهذلي كذاباً**. وذكره البخاري في الضعفاء الصغير: ٥٩. وقال عنه النسائي في الضعفاء والمتروكين: ١٨٣: سلمى بن عبد الله أبو بكر الهذلي متروك الحديث بصري. وقال عنه ابن حبان في المجروحين ١: ٣٥٩: **يروى عن الأثبات الأشياء الموضوعات**. انظر كذلك: ضعفاء العقيلي ٢: ١٧٨. وقال عنه ابن حزم في المحلى ١٠: ٣٥٤: كذاب مشهور.

(٢) البلدان: ٢٠٩.

التي ألصقوها بأهل العراق، لا يقرب منها سوى الغدر، والختل، والخذلان. وقد وردت في نصوص كثيرة عن ولاة وأمراء وخلفاء الأمويين والعباسيين، حتى أن بعض الشيعة اعتقد أنها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. بل نقلها بعض محدثيهم مرسلةً في بعض كتبه.

وفيما يلي نذكر أبرز الشخصيات التي ورد عنها ذلك مؤكداً، أو من نُسب إليهم:

١ـ ما نُسب لعائشة:

نسب أبو بكر الكاشاني (ت ٥٨٧ هـ) لعائشة، أنها قالت لعروة في حديث قطع الصلاة: «يا عروة، ما يقول أهل العراق؟ قال يقولون: يقطع الصلاة مرور المرأة والحمار والكلب. فقالت: **يا أهل العراق، والنفاق والشقاق، بئسما قرنتمونا بالكلاب والحُمُر**، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل وأنا نائمة بين يديه معترضة كاعتراض الجنازة»[1].

وهذا الحديث ذكره قبل ذلك الصنعاني (ت

(١) بدائع الصنائع: الكاشاني ١: ٢٤١.

٢١١هـ) في مصنفه بلفظ: «قرنتموني يا أهل العراق بالكلب والحمار؟! إنه لا يقطع الصلاة شيء، ولكن ادرؤوا ما استطعتم»[1].

مما يعني أن لفظتي (الشقاق، والنفاق) أضيفتا للحديث فيما بعد.

ويلاحظ أيضاً أن العبارة لا تستقيم بعد إدراج (الشقاق والنفاق) لأن هاتين صفتان بحسب الفرض، لكنهما عُطفتا على أهل العراق، فلم يعد للعبارة معنى.

٢ـ معاوية بن أبي سفيان:

في كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري: «أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم، عن الأصمعي قال: **وفد الوليد بن جابر بن ظالم** على النبي صلى الله عليه وسلم، وصحب علياً، وشهد معه صفين، وكان من فرسانه المشهورين.

ثم وفد على معاوية في الاستقامة، فدخل في جماعة وفد العراق، فلما انتسب له قال: أنت صاحب ليلة الهرير؟ قال: نعم، قال: والله لكأني بك الآن ترتجز وتقول:

---

(١) المصنف ٢: ٣٠.

شُـدّوا فـدا لكـم أمٌّ وأب
فـإنما الملـك غـداً لمـن غلـب
هـذا ابـن عـم المصطفـى والمنتخـب
بنـوه في العليـاء سـادات العـرب
ليـس بموضـوم[1] إذا نـص النسـب
أول مـن صـام وصلى واقترب

قال: أنا قائلها وذلك أنّا كنا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافة، ولا فضيلة تصير إلى المقدمة، إلا وهي مجموعة له، وكان أولَ الناس سلماً، وأرجحَهم حلماً، وأكثرَهم علماً. فات الجياد فلا يُسبق غباره، واستوى على الأمد فلا يُخاف عثاره، وأوضح المنهج الهدى فلا يبيد مناره، وسلك القصد فلا تدرس آثاره. فلما ابتلانا الله بافتقاده، وجعل الأمر إلى من شاء من عباده، دخلنا في جماعة المسلمين، فلم ننزع يداً من طاعة، ولم نصدع صفاة جماعة. على أن لك منا ما ظهر، وقلوبُنا بيد الله، فاقبل

(١) مقهور أو مغلوب. قال ابن فارس: «ويقال: استَوْضَمْتُ الرّجُلَ، أي استضَمْتُه وجعلتُه تَحْتِي كالوَضَم» والوضم: خشبة يستخدمها الجزار يضع عليها اللحم. تقول العرب في أمثالها: فلانٌ لحمٌ على وضَم: كما يقولون إنه جسد بلا روح، تغليظاً للعلة ومبالغة في فرط الضعف. انظر: السيد المرتضى، تنزيه الأنبياء: ٩٧. وصدر البيت تعريض بمعاوية من جهة النسب.

صفونا، وأعرض عن كدرنا، ولا تشهد كوامن الأحقاد، فإنّ النار تقدح بالزناد.

قال: **وإنك لتُهددني بأوباش العراق؟ محرنجم النفاق، ومستقر الشقاق، والفجار الفساق، الملحدة المُرّاق؟**. قال: يا معاوية، **هم الذين أشرقوك بالريق، وحبسوك في المضيق، وذادوك عن سنن الطريق، حتى حاكمت بالمصاحف إلى من صدّقَ بها وكذّبتَ، وآمن بمُنزِّلها وكفرتَ، وعرف تأويلها وأنكرتَ**. فغضب معاوية وأدار طرفه فيمن حوله، فإذا جلهم من قريش، فقال: **أيها الشقي الخائن**، إني لأخال أن هذا آخر كلام تفوه به»[1].

وذكرها ابن أبي الحديد، بلفظ: «**وإنك لتهددني يا أخا طيّ بأوباش العراق؟! أهل النفاق، ومعدن الشقاق؟!**»[2].

وهذا الحوار على قصره، يقدّم بشكل جليّ خلاصة النظرة الأموية لأهل العراق، في مقابل النظرة العلوية. فأهل العراق عند معاوية ومن تبعه: **محرنجم النفاق، ومستقر الشقاق، والفجار**

(١) الأوائل ١: ٣٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ١٣٠.

الفساق، الملحدة المُرّاق. أما في الواقع فهم الذين **أشرقوا معاوية بريقه بشدة بأسهم ووفائهم لعلي عليه السلام، وحبسوه في المضيق بشراستهم في القتال نصرةً لإمامهم،** حتى رفع معاوية المصاحف التي يرى العراقيون أن علياً عليه السلام صدّق بها، وآمن بمنزّلها، وعرف تأويلها، بخلاف معاوية، فهو في عقيدتهم: **مكذّبٌ، كافرٌ، مُنكرٌ.**

٣ـ الحجاج بن يوسف الثقفي:

يبدو أن الحجاج تكرر منه استعمال هذا الوصف كثيراً بحق أهل العراق، فقد روي عنه ذلك في أول دخوله إلى العراق، كما روي عنه في مرضه ذات مرة، وثالثة في كتابٍ بعث به إلى عبد الملك بن مروان، وهكذا.

فقد ذكر خُطب الحجاج كلٌّ من: الجاحظ (٢٥٥ هـ) في البيان والتبيين، والزبير بن بكار (٢٥٦ هـ) في الموفقيات، وابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) في عيون الأخبار، والبلاذري (٢٧٩هـ) في أنساب الأشراف، واليعقوبي (٢٨٤هـ) في تاريخه، وغيرهم. ومما جاء فيها: «**يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق**». وأول من

ذكرها الجاحظ والزبير بن بكار، وكلاهما أموي الهوى.

ونقلها الطبري وابن أعثم وغيرهما بألفاظ متقاربة، لكنها اتفقت على أنهم «**أهل الشقاق والنفاق**»[1].

قال الجاحظ: «وقال الحجاج على منبره: والله لألحونكم لحو العصا، ولأعصبنكم عصب السَّلِمة[2]، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. **يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق**، إني سمعتُ تكبيراً ليس بالتكبير الذي يُراد به الله في الترغيب، ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب، وقد عرفت أنها عَجاجة تحتها قصف فتنة. أي بني اللكيعة، وعبيد العصا، وبني الإماء، والله لئن قرعت عصاً لأتركنكم كأمس الدابر»[3].

وذكر الزبير بن بكار أن الحجاج قال وهو على المنبر أول دخوله العراق والياً من عبد الملك: «والله

---

(١) **انظر كذلك**: تاريخ الطبري٥: ٤٣. الفتوح لابن أعثم٧: ٩. تاريخ دمشق١٢: ١٣٩. و: ١٩٣. و١٣: ٣٥٨. و: ٢٨٣. و: ٣٦٦. وغيرها من المصادر.

(٢) عصب السلمة: ضم أغصانها بحبل ثم ضربها حتى يسقط ورقها. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث١: ١٨٥.

(٣) البيان والتبيين: ٢٠٤.

يا أهل العراق، إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، والله إني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى... **يا أهل العراق، ويا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، لأنكم طالما اضطجعتم في منام الضلال، وأوضعتم في أودية الفتنة، وسننتم سنن الغي.** وأيم الله لألحونّكم لحو العود، ولأقرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غريبة الإبل»[1].

وقال ابن قتيبة: «أرجف الناس بموت الحجاج، فخطب فقال: **إن طائفة من أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق،** نزغ الشيطان بينهم، فقالوا: مات الحجاج، ومات الحجاج! فمه! وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت...»[2].

وقال اليعقوبي في ذكر الحجاج: «فلما قدم الكوفة صعد المنبر متلثماً بعمامته متنكباً قوسه وكنانته، فجلس على المنبر ملياً لا يتكلم، حتى هموا أن يحصبوه، ثم قال: **يا أهل العراق، ويا أهل الشقاق والنفاق والمراق، ومساوئ الأخلاق،** إن أمير

(١) الأخبار الموفقيات، للزبير بن بكار ١: ٢٧.
(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١: ٢٢٦.

المؤمنين نثل كنانته، فعجمها عوداً عوداً، فوجدني أمرّها عوداً، وأصعبها كسراً، فرماكم بي»[1].

وخطب ذات يوم في الكوفة فقال: «يا أهل العراق، أتيتكم وأنا أرقل في لمتي، **فما زال بي شقاقكم حتى انحصّ شعري**، ثم كشف عن رأس له أقرع»[2].

وكان عبد الملك بن مروان قد ولاه على العراق لإخماد نيرانها، وإبادة شُبانها[3].

٤ـ عبد الله بن الزبير:

روى ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) خطبة لعبد الله بن الزبير حين قتل أخوه مصعب قال فيها: «**ألا إن أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق**، باعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه به»[4].

٥ـ مصعب بن الزبير:

قال الحموي: « وقدّم مصعب أمامه ابنه عيسى فقُتل بعد أن قال له وقد رأى الغدر من أصحابه: يا بني انجُ بنفسك، **فلعن الله أهل العراق، أهل**

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٧٣.
(٢) الموفقيات: ٩٨.
(٣) انظر: الموفقيات: ٨٨.
(٤) عيون الأخبار ٢: ٢٦٢.

الشقاق والنفاق، فقال: لا خير في الحياة بعدك يا أباه! ثم قاتل حتى قتل»[1].

٦ـ عثمان بن حيان المري الدمشقي:

وهو من أشد الناس بغضاً لعلي وشيعته لا سيما أهل العراق. كان مولىً لأم الدرداء[2]، أو مولى عتبة بن أبي سفيان. ولاه الوليد بن عبد الملك بن مروان على المدينة سنة ٩٣ هـ بإشارة من الحجاج، بعد أن عزل عنها عمر بن عبد العزيز.

قال الذهبي: «وكان ظلوماً عسّافاً جائراً»[3].

ونقل الذهبي عن ابن شوذب: «قال عمر بن عبد العزيز: الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر، امتلأت والله الأرض جوراً»[4].

روى الطبري في حوادث سنة ٩٤ هـ عن محمد بن عبد الله بن أبي حرة عن عمه، قال «رأيت عثمان بن حيان أخذ رباح بن عبيد الله، ومنقذ العراقي، فحبسهم وعاقبهم، ثم بعث بهم في جوامع إلى

---

(١) معجم البلدان ٥: ١٢٧. مروج الذهب ٣: ١٢٧. و: ٣: ١٢٣.
(٢) هذا أيضاً من الموالي الذين أشرنا إليهم سابقاً.
(٣) تاريخ الإسلام ٧: ١٦١.
(٤) () تاريخ الإسلام ٧: ١٦١.

الحجاج بن يوسف، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر، وأمر بهم أن يُخرَجوا من كل بلد، فرأيتهم في الجوامع. واتبع أهل الأهواء وأخذ هيصماً فقطعه، ومنحوراً، وكانا من الخوارج.

قال: وسمعته يخطب على المنبر يقول بعد حمد الله: أيها الناس، إنا وجدناكم أهل غش لأمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه، وقد ضوي إليكم من يزيدكم خبالاً، أهل العراق، هم أهل الشقاق والنفاق، هم والله عُش النفاق وبيضته التي تفلقت عنه، والله ما جربت عراقياً قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول، وما هم لهم بشيعة، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم، ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم، فإني والله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم أو أكراه منزلاً، ولا أنزله، إلا هَدمتُ منزله وأنزلت به ما هو أهله»[1].

ويؤكد قوله: «وما هم لهم بشيعة، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم» التنظير العقدي الذي يفصل بين أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، ويدّعي أن الشيعة ليسوا على منهج أهل البيت عليهم السلام وقد استمر هذا التنظير عبر الأزمان حتى يومنا هذا.

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥٨.

٧ـ المنصور الدوانيقي:

قال الطبري: «وذكر الفقيمي، أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن **مولى محمد بن علي**، حدثه أن المنصور لما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته[١] والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال:

يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب، تركناهم ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ والخلافة، فلم نَعرض لهم فيها بقليل ولا كثير، فقام فيها علي بن أبي طالب، فتلطّخ وحكّم عليه الحكمين، فافترقت عنه الأمة، واختلفت عليه الكلمة، **ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه**[٢].

ثم قام من بعده الحسن بن علي، **فوالله ما كان فيها**

---

(١) وذلك سنة ١٤٢ هـ. وكانت خلافة المنصور من ١٣٦ـ١٥٨ أي اثنتان وعشرون سنة. وقد قضى الحسنيون ثلاث سنوات في السجن، ثم قتلوا في ظروف غامضة.

(٢) هذه واحدة من أبرز افتراءات الدوانيقي على الشيعة، فقاتل علي عليه السلام باتفاق الجميع هو رجل واحد، خارجي من مصر، لم يكن من أنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته، كما أنه رجل واحد قتله غيلةً كما هو

برجل، قد عُرضت عليه الأموال فقبلها، فدَسَّ إليه معاوية: أني أجعلك ولي عهدي من بعدي، فخدعه، فانسلخ له مما كان فيه وسلمه إليه[1]، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غداً، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه.

ثم قام من بعده الحسين بن علي فخدعه أهل العراق[2] وأهلُ الكوفة، أهلُ الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، أهل هذه المدرة السوداء[3] وأشار إلى الكوفة. فوالله ما هي بحرب فأحاربها، ولا سلم فأسالمها، فرّق الله بيني وبينها. فخذلوه

معروف، ولم يكن انقلاباً جماعياً كما صوّره لأهل خراسان. وانظر إلى الطعن في علي عليه السلام وتصويره بأنه قليل التدبير لا يصلح للقيادة.

(١) انظر إلى الطعن الفاحش بشخصية الإمام الحسن عليه السلام وتصويره أنه ساذج يُخدع بسهولة، صاحب أموال ونساء وملذّات، وأنه «مات على فراشه» كناية عن الجبن والابتعاد عن الحرب.

(٢) كما خدع معاوية أخاه الحسن عليه السلام طبقاً لتصريحات الدوانيقي هذه. وبالنتيجة لم يكن هؤلاء الثلاثة ـ عليٌّ والحسنان ـ صالحين لقيادة الأمة.

(٣) في مقابل قول علي عليه السلام في الكوفة: نعمت المدرة. وفي مقابل الأحاديث الكثيرة المتواترة في فضل الكوفة وأرضها ومسجدها وأهلها. وقد صنفت في ذلك الكثير من المصنفات قديماً وحديثاً، نذكر منها: فضل الكوفة للثقفي (ت: ٢٨٣)، فضل الكوفة وفضل أهلها، لمحمد بن علي العلوي (ت: ٤٤٥). فضل الكوفة ومساجدها، محمد بن جعفر المشهدي الحائري (القرن السادس). فضل أهل الكوفة في مصادر أهل السنة، الشيخ باسم الحلي (معاصر). وغيرها من الكتب التي اشتملت على الروايات المتكاثرة في قدسية هذه الأرض، التي أسماها خلفاء الجور: المدرة السوداء الخبيثة، ولعنوها ولعنوا أهلها.

وأسلموه حتى قتل.

ثم قام من بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه[1] فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه. وقد كان أتى محمد بن علي[2]، فناشده في الخروج، وسأله أن لا يقبل أقاويل أهل الكوفة، وقال له: إنا نجد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يُصلب بالكوفة، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب، وناشده عمي داود بن علي[3] وحذّره غدر أهل الكوفة، فلم يقبل، وأتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة.

ثم وثب علينا بنو أمية[4] فأماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها، وما كان ذلك كله إلا فيهم، وبسبب خروجهم عليهم، فنفونا من البلاد، فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام، ومرة بالشراة، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصاراً، فأحيا

---

(١) هذه هي الخديعة الثالثة بعد الحسن والحسين عليهما السلام كما يقول الدوانيقي، وهذا يعني أن الأئمة عليهم السلام ورجالات أهل البيت عليهم السلام تتكرر في حياتهم ظاهرة الخذلان والغدر من جهة واحدة فلا يعتبرون. فهم يفتقرون للحكمة والقدرة على القيادة، ولا يصلحون للتصدي للخلافة.

(٢) المقصود الإمام الباقر عليه السلام.

(٣) العباسي، وسوف يأتي ذكره في ثورة زيد.

(٤) لم يصدر من الدوانيقي كلمة واحدة في الطعن ببني أمية أو شيعتهم، واقتصر على ما كان بينهم من خلاف سياسي فقط.

شرفنا وعزّنا بكم أهل خراسان[1]، ودمغ بحقكم أهل الباطل وأظهر حقنا وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم، فقرّ الحق مقره وأظهر مناره وأعز أنصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين...»[2].

وكان المنصور يتمنى أن يكون له رجل مثل الحجاج بن يوسف الثقفي. فقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات عن المنصور قوله في الحجاج: «رجلٌ استكفاه قومه فكفاهم. والله لوددت أنّي وجدت مثل الحجاج حتى أستكفيَه أمري، وأُنزلَه الحرمين، حتى يأتيني أجلي»[3].

وله خطبة أخرى بهذا المضمون، تأتي لاحقاً.

٨ـ عبد الله بن عمر:

قال الفريابي: «حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن أبي الشعثاء قال: دخل نفر على عبد الله بن عمر ـ من أهل العراق ـ

---

(١) يلاحظ هنا أن العباسيين استنجدوا بالفرس على بني أمية، واستعانوا بهم على توزير الوزارات وبناء المدن، وسلموهم مقاليد الكثير من الأمور في دولتهم. مع ذلك لا تجد من يتهمهم بالشعوبية كما اتهموا غيرهم ممن لم يفعلوا معشار ما فعلوه.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٤. مروج الذهب ٣: ٣٠٠.

(٣) الموفقيات: ٣٧.

فوقعوا في يزيد بن معاوية فتناولوه، فقال لهم عبد الله: هذا قولكم عندي، أتقولون هذا في وجوههم؟! قالوا: لا، بل نمدحهم ونثني عليهم، فقال ابن عمر: **هذا النفاق عندنا**»[1].

وهكذا نجد أن هذا الوصف اتفق عليه الخطاب الأموي والعباسي والزبيري، وجميع المخالفين والنواصب، من أعداء علي عليه السلام وشيعته، حتى صار وصفاً ثابتاً للعراق وأهله في العقلية الأموية والعباسية وجميع مخالفي الشيعة.

والعجب أن نجد هذا الوصف منسوباً لعلي عليه السلام في بعض تفسير التبيان، مع أنه لم يرد في أيّ رواية عنه، لا عند العامة ولا الخاصة، لا من ضعيفها ولا من صحيحها. والشيخ الطوسي - وهو المحدث الخبير - لم يروه في أيّ من كتبه، سوى ما ورد في تفسيره بلا إسناد، ولا يبعد أن يكون قد دُسّ عليه من بعض النسّاخ.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**من أضل ممن هو في شقاق بعيد**﴾[2]: «والشقاق:

---

(١) صفة النفاق وذم المنافق: ١٠٨.
(٢) فصلت: ٥٢.

الميل إلى شق العداوة لا لأجل الحق، كأنه قال: لا أحد أضل ممن هو في شقاق بكفره، وبه يُذمُّ من كان عليه، **كما قال علي عليه السلام: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق**»[1].

فأغلب الظن أن هذه العبارة أدرجت من قبل النّسّاخ فيما بعد، ودُسّت في التبيان، فالشيخ الطوسي أجلّ وأعظم من أن يستشهد بحديث لا أصل له ولا أثر، وهو المحدث الخبير.

لكن الأعجب من ذلك، أن يبني الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله نتيجة خطيرة على هذا الوصف الأموي العباسي الزبيري، فيجعله حقيقةً مسلّمة يستنتج منها نتيجة خطيرة. بل يضيف إليها مدحاً لأهل الشام لم يرد بنصّه حتى عن الأمويين أنفسهم، ولم يكونوا يحلمون به.

قال رحمه الله: «وشاءت الظروف أن تكون دولة علي عليه السلام في العراق، **ومن أهل الشقاق والنفاق**، ودولة معاوية في الشام، **ومن أهل النظام والوئام**، فلا بدع أن تثبت هذه، وتتزلزل تلك»[2].

---

(١) التبيان ٩: ١٣٨.

(٢) في ظلال نهج البلاغة ١: ١٧٨.

إنك تلمس بوضوح التوجه السلطوي تجاه شيعة أهل البيت عليهم السلام في هذه العبارة، التي استقاها الشيخ مغنية من تاريخ الدولتين، وأضاف إليها مدحاً للشاميين لم يقله أحدٌ ففيهم، فأهل الشام لم يكونوا أهل نظام ووئام كما قال، إنما هو الاختلاف في منهج الحكم بين علي ومعاوية، فلا يخفى على أحد أساليب معاوية في الحكم، سواء بالحديد والنار والقتل وقطع الأرزاق، أم بشراء الذمم وتغذية الغرائز والأطماع، أم في غير ذلك من أساليب الإخضاع. وعندئذٍ يكون مقياس النجاح عند الشيخ مغنية ما يفعله طغاة الأرض بأساليبهم الديكتاتورية.

ثم إن الدولة الأموية لم تثبت كما يقول الشيخ مغنية، ولم يدم عمرها إلا ما يزيد عن تسعين عاماً بقليل، وهو قصير نسبياً لا قيمة له في حسابات الدول العظيمة التي مرت في التاريخ.

أضف إلى ذلك أن الدولة الأموية قد تأسست قبل دولة علي بعقود، وثبتت أركانها منذ أيام عمر، وحظيت بدعم كبير من عمر ومن جاء بعده، أما علي عليه السلام فلم يمهله أحدٌ لبناء دولة، فما إن تصدى للخلافة حتى ثار عليه الجميع، وانتقضت عليه

الأطراف، ولم يقف معه سوى أهل العراق. لذا نجد أنه انشغل بالحروب طيلة الفترة القصيرة التي تصدى فيها للخلافة، فمتى أمهلوه حتى أسس دولة لتُقارن بدولة بني أمية العتيدة؟

ثم إن تزلزل الدول لو كان سببه الشعوب فقط، فكيف استمرت الدولة العباسية أكثر من خمسمئة سنة مع أنها نشأت على أرض العراق أيضاً؟

هذه النتيجة الساذجة بناها الشيخ مغنية على وصفٍ شائع، أسسه الأمويون والعباسيون بحق شيعة علي عليه السلام فتلقفته عقول بعض الشيعة، وصدّقت ما قيل في ذمها.

د- مسكن الشيطان وأعوانه:

ورد في بعض مروياتهم أن العراق مقرّ الشيطان، وأهله أعوانه، ومن ذلك:

١- ما نُسب لعمر بن الخطاب:

روى ابن سعد (٢٣٠ هـ) في الطبقات عن أبي عذبة الحضرمي قال: «قدمت على **عمر بن الخطاب رابع أربعة من أهل الشام** ونحن حجاج، ثم حدّث عنه حديثاً في أهل العراق حين قدموا عليه وهم حضور ما قال لهم. قال أبو اليمان، عن جرير بن

عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن أبي عذبة الحضرمي، قال: قدمت على عمر بن الخطاب **رابع أربعة من أهل الشام** ونحن حجّاج، فبينا نحن عنده إذ أتاه خبر بأن أهل العراق قد حصبوا إمامهم، وقد كان عوضهم إماماً مكان إمام كان قبله، فحصبوه. فخرج إلى الصلاة مغضباً فسها في صلاته. ثم أقبل على الناس فقال: مَنْ هاهنا من أهل الشام؟ فقمت أنا وأصحابي، فقال: **يا أهل الشام، تجهّزوا لأهل العراق، فإنّ الشيطان قد باض فيهم وفرخ**. ثم قال: اللهم قد ألبسوا عليّ فألبس عليهم. **اللهم عجّل لهم الغلام الثقفي**[1] **الذي يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم**»[2].

ورواه الدولابي الرازي (٣١٠ هـ) في الكنى والأسماء، بسنده عن أبي عذبة الحضرمي، قال: «حدثنا الحسن بن علي بن عياش قال: حدثنا عصام بن خالد، قال: حدثنا صفوان بن عمرو، عن عمرو بن سليم الحضرمي، عن أبي عذبة الحضرمي، قال:

---

(١) يعني الحجاج، وقد نقلوا ذلك عن علي عليه السلام أيضاً، وورد في بعض مصادرنا مرسلاً.

(٢) الطبقات الكبرى ٧: ٤٤٢. انظر كذلك: المعارف لابن قتيبة: ٣٩٧.

حججت في خلافة عمر بن الخطاب فنزلت المدينة فقلت لأصحابي: احفظوا عليّ رحلي حتى أشهد صلاة الظهر مع أمير المؤمنين. قال: فخرج عمر ليصلي بنا وقد جاءه بريد فأخبره أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم، فخرج غضبان فصلى بنا، فسها في صلاته حتى جعل الناس يقولون: سبحان الله سبحان الله. فلما انصرف قال: من هاهنا من أهل الشام ؟ وذلك أول ما قدم الحاج. فقام رجل ثم قام آخر فقمت ثالثاً أو رابعاً، فقال عمر: **يا أهل الشام، استعدوا لأهل العراق، فإنّ الشيطان قد باض فيهم وفرخ**، اللهم إنهم قد لبسوا عليّ فألبس عليهم، **وعجّل لهم الغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم**»[1].

قال ابن الأثير: «ويقال: أفرخت البيضة إذا خلت من الفرخ، وأفرختها أمها. ومنه حديث عمر: **يا أهل الشام تجهزوا لأهل العراق، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرّخ**. أي اتخذهم مقراً ومسكناً لا يفارقهم،

(١) الكنى والأسماء ٢: ٧٢٨.

كما يلازم الطائر موضع بيضه وأفراخه»[1].

وروى الطبري عن عثمان بن حيان المري، والي الأمويين على المدينة، أنه خطب ذات مرة، فذمّ أهل العراق بأفظع الذم، وكان مما استشهد به عن عمر بن الخطاب أنه قال: «**إني رأيت العراق داءً عُضالاً، وبها فرّخ الشيطان**»[2].

٢ـ كعب الأحبار:

روى ابن عساكر عن علقمة قال: قدم كعب على عمر المدينة، فقال له عمر: يا كعب، ما يمنعك من النزول بالمدينة؟ فإنها مهاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبها مدفنه. قال: يا أمير المؤمنين، **إني وجدت في كتاب الله تعالى المنزل في التوراة أن الشام كنز الله في أرضه، وبها كنز الله تعالى من عباده.** وأراد عمر العراق فقال له كعب: **أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من العراق فإنها أرض المكر، وأرض السحر، وبها تسعة أعشار الشر، وبها كل**

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٢٥.

(٢) الطبري ٥: ٢٥٩. انظر كذلك: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ٢: ٣١٦. الخطبة رقم ٣٠٤: خطبة عثمان بن حيان المري في المدينة.

داء عضال، وبها كل شيطان مارد»[1].

وما قاله كعب يمثل خلاصة العقيدة اليهودية في العراق وأرض بابل، وهو معروف في المخيلة اليهودية، وقد انتقل إلى معاوية وحزبه النواصب عن طريق كعب وغيره. لكن الملفت أن يدّعي فضل الشام على مدينة رسول الله ﷺ وهي نزعة أموية تبناها بنو أمية أيام حكمهم في الشام. فمما ورد في ذلك ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد أنّ عبد الله بن جعفر وفد على عبد الملك بن مروان وعنده يحيى بن الحكم «فسأله فقال: كيف تركت خَبَثة - يعني المدينة- فقال عبد الله: سمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها خبثة»[2].

٣- الحجاج بن يوسف الثقفي:

ذكر الجاحظ أن الحجاج «خطب أهل العراق بعد دير الجماجم فقال: يا أهل العراق، إن الشيطان قد استبطنكم، فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف، ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشش، ثم

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق ١: ١٢١.
(٢) مجمع الزوائد ٣: ٣٠٠.

باض وفرّخ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً، وأشعركم خلافاً، أخذتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تُطيعونه، ومؤامراً تستشيرونه. فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجركم إسلام، أو ينفعكم بيان؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر؟ وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرفي، وأنتم تتسللون لواذاً، وتنهزمون سراعاً. ثم يوم الزاوية، وما يوم الزاوية! بها كان فشلكم، وتنازعكم، وتخاذلكم، وبراءة الله منكم، ونكوص وليّكم عنكم، إذ وليتم كالإبل الشوادر إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه، حتى عضكم السلاح، وقعصتكم الرماح. ثم يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله.

يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات[1]، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات،

(١) في بعض المصادر: يا أهل الكفرات بعد الفجرات. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٢: ٥٢٠.

إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة. هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاوٍ، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع، إلا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورحبتموه؟

يا أهل العراق، هل شغب شاغب، أو نعب ناعب، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه، ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر، ويُكنها من المطر، ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب. يا أهل الشام أنتم الجُنّة الرداء وأنتم العدة والحذاء»[1].

هـ- سحرةٌ كفرة:

قال البلاذري: «وحدثني عبّاس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف وعن عوانة[2] قالا: لما قدم

---

(١) البيان والتبيين: ٢٨٧.

(٢) عوانة بن الحكم الكلبي، مولى بني كلب، من رموز التأريخ الأموي، كان معاصراً لأبي مخنف، وسوف يأتي الكلام عنه لاحقاً. وهو أحد الموالي الذين أشرنا إليهم سابقاً ممن شكلوا ظاهرة خطيرة تستحق التوقف والدراسة.

مصعب على أخيه بعد قتل المختار، قال له ابن عمر: أأنت الذي قتلتَ ستّة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة على دم؟ فقال: إنّهم كانوا سحرة كفرة، فقال له: والله لو كانوا غنماً من تراث الزبير لقد كان ما أتيت عظيماً»[1].

وقد مرّ وصف المنصور لهم بقوله: «سبئيّة خشبيّة، قائلٌ يقول: جاءت الملائكة. قائلٌ يقول: جاء جبريل وهو يقول: أقدم حيزوم»[2].

و ـ المدرة الخبيثة:

وهو وصف أطلقه الأمويون والعباسيون على الكوفة، خلافاً لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في وصف الكوفة، ومن هؤلاء:

١ ـ الحجاج الثقفي:

فقد روى الزبير بن بكار[3]، أن الحجاج خطب

---

(١) أنساب الأشراف ٦: ٤٤٥.

(٢) أنساب الأشراف ٤: ٢٦٩.

(٣) الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام. ولي القضاء بمكة للعباسيين، وورد بغداد وحدث بها. توفي سنة ٢٥٦ هـ. كان مؤدِّباً للموفَّق ابن المتوكل، وكتب الموفقيات على اسمه، وكان المتوكل يُغدق عليه العطايا والأموال. وعمّه مصعب بن عبد الله صاحب كتاب «نسب قريش»، المتوفى سنة ٢٣٦ هـ وكلاهما من مؤرخي البلاط العباسي، ومن أشد الناس

يوماً في الكوفة، وأثنى على أهل الشام: «ثم التفت إلى أهل الكوفة، فقال:

«هذه المَدَرةُ الخبيثة، يجلسون على الكراسي، ثم يقولون: ما الهبر ما الهبر»[1].

وعن الأعمش قال: «سمعت الحجاج على منبر الكوفة يقول: يا معشر الحمراء، تخلفتم عن الغزو، وجلستم على الكراسي، وتبردتم تحت الظلال، فلا يمرّ بكم مارّ إلا قلتم: ما الهبر؟ ما الهبر؟ والله لأهبرنكم بالسيف هبراً أشغلكم به عن الأخبار»[2].

والحمراء: الموالي من العجم.

٢ـ المنصور الدوانيقي:

تقدم عن المنصور الدوانيقي قوله عن الحسين عليه السلام: «فخدعه أهل العراق، وأهل الكوفة، أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، **أهل هذه المدرة السوداء**. وأشار إلى الكوفة»[3].

وقال البلاذري (٢٧٩ هـ) ـ وهو من مؤرخي

انحرافاً عن علي عليه السلام، وبغضاً له ولشيعته. وسوف نترجم لهما تفصيلاً في هذا الكتاب إن شاء الله.

(١) الموفقيات: ٩٨. ويعني بالهبر قطع اللحم، أي أنهم لا يخرجون للغزو، ولا يشغلهم غير الأكل.

(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار ٢: ٣٢.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٤. مروج الذهب ٣: ٣٠٠.

البلاط العباسي ـ: «وحدثني الحرمازي قال: لما قُتل إبراهيم بن عبد الله، وبعث عيسى بن موسى برأسه، أمر المنصور أن يُطاف به بالكوفة، ثم خطب المنصور بالكوفة فقال: **يا أهل الكوفة، عليكم لعنة الله، وعلى بلد أنتم فيه، للعجب لبني أميّة وصبرهم عليكم! كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ويسبوا ذراريكم ويخربوا منازلكم؟ سبئيّة خشبيّة[1]، قائل يقول: جاءت الملائكة. قائل يقول: جاء جبريل وهو يقول: أقدم حيزوم[2]**. ثم عمدتم إلى أهل هذا البيت وطاعتهم

---

(١) السبئية، والسبائية: إما أن تكون تصحيفاً للسَّبّابية، وهي من صفات الشيعة الذين يسبون الكثير من الرموز الأموية والعباسية. أو أنهم من قبائل سبأ اليمانية، وهي إحدى المثالب التي ينبز بها الأمويون والعباسيون أتباع علي عليه السلام. لكن هذا الوصف تطور بعد اختراع الكذاب سيف بن عمر شخصية أسطورية، أسماه عبد الله بن سبأ، ادعى أنه يهودي من أهل صنعاء حرض على قتل عثمان، وجاء بعقيدة الشيعة. وهذا الوصف الأخير لم يكن معروفاً لدى العباسيين، وإلا لما توانوا لحظة واحدة على وصم شيعة علي به.

وأما الخشبية: فإما أن تكون تصحيف «الخبيثة». وإما أن يكون وصفاً لشيعة المختار. قيل: إنهم أصحاب إبراهيم بن مالك الأشتر، الذين كانوا يحملون الخشب بدلاً من السيوف عند لقاء ابن زياد، ثم قتله. وقيل: إنهم أصحاب المختار الذين وصلوا إلى مكة، وكانوا يحملون الخشب بدلاً من السيوف احتراماً للمسجد الحرام. وقيل: إنهم أنصار المختار من الشيعة الذين فكوا الحصار المضروب على العلويين في مكة، وكان ابن الزبير قد جمع الحطب لإحراقهم، وكان من الخشب.

(٢) أي أنهم أصحاب بدع وخرافات وأساطير كما يقول الوهابية اليوم.

حسنة، فأفسدتموهم وأنغلتموهم، فالحمد لله الذي جعل دائرة السوء عليكم. **أما والله يا أهل المدرة الخبيثة لئن بقيت لكم لأذلنّكم**»[1].

وعن البلاذري أيضاً: «وقال المنصور: يا أهل الكوفة، **يا أهل المدرة الخبيثة**، يقولون إنه سمع في عسكر إبراهيم قائل يقول: أقدم حيزوم، تشبهونه بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووبخهم وقال: **لعنك الله من بلدة، ولعن أهلك**. والله للعجب لبني أمية كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ولم يسبوا ذريتكم»[2].

ز- أهل الغدر والخيانة والخذلان:

مما نُسب لأهل العراق من تنظير السلطات السياسي والمذهبي، أنهم «**أهل غدر وخيانة، لا يؤمن لهم جانب، ولا يوثق بهم**». وقد ورد هذا الوصف في الكثير من الأخبار، كلها من مصادر العامة، وعلى ألسنة رجالهم، أو ما نسبوه لغيرهم. فمن ذلك:

---

(١) أنساب الأشراف ٤: ٢٦٩.
(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٢٨.

١ـ ما نسب لابن عباس:

في أنساب الأشراف وغيره، أن ابن عباس قال للإمام الحسين عليه السلام: «يا ابن عمّ! إنّي أتصبّر فلا أصبر، إنّي أتخوّف عليك الهلاك، **إنّ أهل العراق قوم غُدُر**، فأقم بهذا البلد؛ فإنّك سيّد أهل الحجاز»[١].

ومنه ما نسبوه إليه أيضاً وهو ينصح الحسين عليه السلام بعدم الخروج للعراق: «يا ابن عمّ، لا تقرب أهل الكوفة، **فإنّهم قوم غَدَرَةٌ**، وأقم بهذه البلدة»[٢].

وفي مروج الذهب أنه قال للحسين: «يا ابن عم، **قد بلغني أنك تريد العراق، وإنهم أهلُ غَدْرٍ**، وإنما يدعونك للحرب، فلا تعجل»[٣].

وفي الفتوح لابن أعثم، أن الحسين عليه السلام لما أزمع الخروج من مكة نحو العراق قال له ابن عباس: «وإنك تعلم أنه بلد قد قُتل فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، **وقُتل فيه ابن عمِّك**، وبويع يزيد بن

---

(١) أنساب الأشراف٣: ١٦١. انظر كذلك: تاريخ الطبري٤: ٢٨٨. نسبه إلى أبي مخنف. ونقله من الشيعة السيد شرف الدين في المجالس الفاخرة: ١١٠. والسيد علي الميلاني في استخراج المرام٢: ١٣٩.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٤.

(٣) مروج الذهب٣: ٥٤.

معاوية»[1].

وهذه من أخطر الوثائق التي سوف نذكرها تفصيلاً في نهضة مسلم ابن عقيل، فهي تؤكد أن الإمام الحسين عليه السلام قد علم بمقتل مسلم بن عقيل وهو في مكة قبل خروجه منها، وسيأتي أن ذلك قبل حوالي شهر من خروجه، لا كما ذكروا أنه خرج في نفس اليوم الذي قتل فيه مسلم. أي أنه بقي في مكة أكثر من شهر بعد سماعه بمقتل مسلم.

وقد ورد حديث ابن عباس في مصادرنا عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام وليس فيه ذم أهل العراق:

قال الشهيد الثاني في الحديث العاشر من كتابه «كشف الريبة»: رويناه بأسانيد متعددة أحدها الإسناد المتقدم في الحديث السابع، إلى الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه محمد بن عيسى الأشعري، عن عبد الله بن سليمان النوفلي، عن الإمام الصادق عليه السلام، ومنه قوله عليه السلام: «فقد حدثني محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال لما تجهز الحسين ع إلى الكوفة أتاه ابن عباس فناشده الله والرحم أن يكون هو

(١) الفتوح ٥: ٦٥. مقتل الخوارزمي ١: ٢١٦.

المقتول بالطف. فقال [أنا أعرف] بمصرعي منك وما وكدي من الدنيا إلا فراقها...»[1].

فليس في الرواية سوى أن ابن عباس ناشده الله والرحم أن لا يخرج، خوفاً عليه من القتل. وأن الإمام الحسين عليه السلام أجابه بحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذم الدنيا.

٢ـ عبد الله بن الزبير:

روى الطبري عن أبي مِخْنَف: «لما قتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة وعظّم مقتله، **وعاب على أهل الكوفة خاصة، ولام أهل العراق عامة**[2]. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على

---

(١) كشف الريبة: ٨٥. ورواه أيضاً الشيخ المجلسي عن الشهيد الثاني في كتاب الغيبة. انظر: بحار الأنوار ٧٢: ٣٦٢. وعن كتاب الأربعين، بسنده عن الشيخ المفيد، عن الشيخ الأجل جعفر بن قولويه، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً. انظر: البحار ٧٤: ١٩٤. وعن كتاب الغيبة للشهيد الثاني أيضاً. انظر: بحار الأنوار ٧٥: ٢٧١. وجميع الأسناد تنتهي للشيخ جعفر بن قولويه، بسنده عن الإمام الصادق.

(٢) والله تعالى يقول: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ هَبْ أن أهل الكوفة تقاعسوا عن نصرة الحسين عليه السلام أو غدروا به وخدعوه وقتلوه كما تقول الدعاية الإعلامية للسلطتين، فما ذنب سائر أهل العراق؟ السبب واضح وهو التشنيع على الشيعة، والافتراء عليهم، وإسقاطهم من الأعين، وكسب الدعاية لابن الزبير في معارضته الأمويين وخروجه عليهم. وإلا فالأولى باللوم هو ابن الزبير نفسه، إذ كان قادراً على نصرته، وقد خرج الحسين عليه السلام من أمام عينيه، وكان في غاية السعادة بخروجه. وقد ورد عن ابن عباس قوله للحسين عليه السلام

محمد صلى الله عليه وسلم: إن أهل العراق غُدُرٌ فُجُر إلا قليلاً، وإن أهل الكوفة شرارُ أهل العراق، وأنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا إليه فقالوا له: إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية سلماً فيمضى فيك حكمه، وإما أن تحارب، فرأى والله إنه هو وأصحابه قليل في كثير، وإن كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحداً أنه مقتول، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً وأخزى قاتل حسين»[1].

وذكر السيد المرعشي رواية عن الشريف أحمد بن محمد الحسيني الخوافي في كتابه المخطوط: التبر المذاب: ٩١، قال: قال عامر الشعبي: لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل الحسين بكى حتى بل دموعه لحيته، ثم صعد المنبر وقال: ألا وإن أهل العراق قوم غُدُر فُجُر، ألا وإن أهل الكوفة دعوا حسيناً ليولوه عليهم، يقيم أمورهم، ويسير فيهم بسيرة

عند خروجه: أقررت عين ابن الزبير. وورد أنه كان يحثه على الخروج إلى الكوفة، كما نُسب لأبي مخنف نفسه.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٤.

جده، وينصرهم على عدوهم، ويعيد معالم الإسلام ومنار الإيمان، فلما قدم عليهم ثاروا عليه فقتلوه[1]. وقالوا له: إما أن تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد فيرى فيك رأيه، أو ينفذ فيك حكمه...»[2].

وهذه الروايات - إن صحّت عن ابن الزبير المعروف بنصبه لأهل البيت عليهم السلام وما فعله من شنائع بحقهم- فلا يصح ما فيها من قوله في الحسين عليه السلام: يعيد معالم الإسلام، ومنار الإيمان. فهذه ليست عقيدته في الحسين عليه السلام ولا في أهل بيته، وما صدر منه بعد ذلك بحقهم ينقض ذلك بوضوح. أضف إلى ذلك أن الرواية عن عامر الشعبي، المعروف هو الآخر بانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام. فهؤلاء ملة واحدة، ولا فرق أن يكون ما في الرواية من ذم لأهل العراق منسوباً لأحدهم.

مع ملاحظة أن ابن الزبير كان في جبهة المعارضة للسلطة الأموية، وهو يدرك جيداً مستقبل الكوفة وأنها لن تكون مطيعة له، ولن تتخلى عن ولائها

(١) هذه العبارة مشابهة لقول المنصور الدوانيقي السابق في مقتل علي عليه السلام: «ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه».

(٢) إحقاق الحق ٣٣: ٧٥٣.

لعلي وآل علي، وخطاب التخوين والشيطنة يهيّئ الأجواء للحرب المقبلة معهم، وهو ما حصل بقيادة أخيه مصعب، الذي فتك بالكوفة وأهلها فيما بعد.

٣ـ العباس بن الوليد بن عبد الملك الأموي:

«قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: لما خلع يزيد بن المهلب، وجّه إليه يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك، والعباس بن الوليد بن عبد الملك، وقال: أمير الجيش مسلمة، فإن حدث به حدث فالعباس بن الوليد، **فقال العباس بن الوليد ليزيد: يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق قوم غُدُر، كثيرٌ إرجافهم**. وأنت توجهني محارباً، والأحداث تحدث، ولا آمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا: مات أمير المؤمنين ولم يعهد، فيفتّ ذلك في أعضاد أهل الشام، ويدخلهم له الوهن والفشل...»[١].

وفي رواية أبي الفرج الإصفهاني: «**إن أهل العراق أهل غَدْرٍ وإرجاف**»[٢].

وفي المنتظم لابن الجوزي: «**إني أتخوّف عليك أهل العراق، فإنّهم أهل غدر**»[٣].

---

(١) أنساب الأشراف ٨: ٣٧٠.
(٢) الأغاني ٧: ٦.
(٣) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٥: ٣٢٨.

وكما ترى بوضوح الخوف والترقب الأموي الدائم من ثورات أهل العراق، وانشقاقهم على خلفاء الجور، وعدم رضوخهم لهم، فمن الطبيعي أن يصفوهم بالغدر وكثرة الإرجاف.

٤ـ عمرو بن العاص:

قال المسعودي: «ولما قتل علي كرم الله وجهه، كان في نفس معاوية من يوم صفين على هاشم بن عُتْبة بن أبي وقاص المرقال، وولده عبد الله بن هاشم إحَنٌ، فلما استعمل معاوية زياداً على العراق، كتب إليه: أما بعد، فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة، فشُدَّ يده إلى عنقه، ثم ابْعَثْ به إليّ[1]. فحمله زياد من البصرة مقيداً مغلولاً إلى دمشق، وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة، فأُدخل إلى معاوية وعنده عمرو بن العاص.

---

(١) هذا واحد من مئات الشواهد على سياسة معاوية بعد الصلح، في ملاحقة شيعة العراق، وقتلهم تحت كل حجر ومدر، وتهجيرهم من الكوفة بعشرات الآلاف، وجلب العناصر والجماعات الموالية لبني أمية إلى الكوفة، وتغيير البنية السكانية (الديموغرافية) لها، واستمر على هذه الحال عشرين سنة، من سنة ٤٠ هـ حتى سنة ٦٠ هـ ثم واصل الأمويون من بعده هذا النهج. مع هذا كله تجد من يتجاهل هذه الحقيقة الناصعة، فيتّهم شيعة الكوفة بالغدر والخيانة والشقاق والنفاق. ولو أنه عانى عشر المعشار مما عانوه، لكان له موقف آخر.

فقال معاوية لعمرو بن العاص: هل تعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا الذي يقول أبوه يوم صفين:

إني شَرَيْتُ النفس لما اعتلاّ
وأكْثَرَ اللوم وما أقلاّ
أعور يبغي أهله محلاّ
قد عالج الحياة حتى ملاّ
لا بد أن يفُلَّ أو يُفَلا
أشلُّهم بذي الكعوب شلاّ
لا خير عندي في كريم ولّى

فقال عمرو متمثلاً:

وقد ينبتُ المرعى على دمن الثرى
وتبقى حَزازاتُ النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضبّ المضب، فاشخب أوداجه على أسباجه، **ولا تردَّه الى أهل العراق، فإنه لا يصبر على النفاق، وهم أهل غدر وشقاق، وحزب إبليس ليوم هيجاء**، وأن له هوى سيرديه، ورأياً سيطغيه، وبطانة ستقويه، وجزاء سيئة سيئة مثلها...»[1].

ورواه قبله نصر بن مزاحم المنقري (٢١٢ هـ) بألفاظ مختلفة ومضمون مقارب، ولكن ليس فيه

(١) مروج الذهب ٣: ٩.

وصف أهل العراق كما في رواية المسعودي[1].

٥ـ المنصور الدوانيقي:

وقد تقدمت خطبته الطويلة في وصف شيعة الكوفة، التي رواها الطبري والمسعودي وغيرهما[2].

ومن ذلك أيضاً وصفه لآل أبي طالب جميعاً بالغدر:

قال البلاذري: «وقال المنصور في آل أبي طالب:

فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتم
وبالله أحمي عنكم وأدافع
وما زال منا قد علمتم عليكم
على الدهر أفضال تُرى ومنافع
وما زال منكم أهل غدر وجفوة وبالله مغترّ وللرحم قاطع»[3].

٦ـ داود بن علي العباسي:

قال الطبري في حوادث سنة ١٢١ هـ في شهادة زيد بن علي رحمه الله تعالى:

---

(١) انظر: وقعة صفين: ٣٤٨.
(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٤. مروج الذهب ٣: ٣٠٠.
(٣) أنساب الأشراف ٤: ٢٦٦. وفي تاريخ الطبري أنه تمثل بهذه الأبيات وليست له. انظر: تاريخ الطبري ٦: ٣٣٦.

«وأما أبو عبيدة[1] فذكر عنه ـ عن عبيد بن جناد الكلابي الحلبي، عن عطاء بن مسلم الخفاف ـ ... فلما رأى ذلك **داود بن علي**[2] قال له: يا ابن عم، **لا يغرنك هؤلاء من نفسك، ففي أهل بيتك لك عبرة، وفي خذلان هؤلاء إياهم**. فقال: يا داود إن بني أمية قد عتوا وقست قلوبهم. فلم يزل به داود حتى عزم على الشخوص، فشخصا حتى بلغا القادسية».

وروى عن أبي عبيدة قوله: «فيقول داود بن علي: **يا ابن عم، إن هؤلاء يغرونك من نفسك، أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك، جدك علي بن أبي طالب حتى قتل؟ والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه وانتهبوا فسطاطه وجرحوه؟ أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ثم**

---

(١) ذكر قبلها بعضاً من رجال الرواية وهم: عبيد بن جناد، عن عطاء بن مسلم الخفاف، ثم قال: «وأما أبو عبيدة عنه»، فيقتضي أنه عن عطاء بن مسلم المتوفى سنة ١٩٠ هـ. وأبو عبيدة هذا هو معمر بن المثنى، يروي عنه الطبري في مواضع عديدة من تاريخه. توفي سنة ٢٠٩ هـ. وسوف تأتي سيرته وصلته بالعباسيين تفصيلاً.

(٢) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. فهو عم المنصور والسفاح. عيّنه المنصور في أيامه والياً على المدينة، وكان ذا نفوذ كبير في الدولة العباسية. توفي سنة ١٣٣ هـ.

لم يرضوا بذلك حتى قتلوه؟ فلا تفعل ولا ترجع معهم»[1].

٧ـ الخليل بن هشام:

وهو شقيق أحمد بن هشام، قائد شرطة طاهر بن الحسين، وأحد رجالات دولة المأمون وقادة الجيش، كان والياً على قم والجبل وإصفهان. غضب عليه المأمون أخيراً فقتله.

ذكر ابن الفقيه الهمداني أن الخليل بن هشام قال في مجلس المأمون لبعض أهل الكوفة: «اكتبوا ما شئتم، ولا تنسوا خذلان علي، وقتل الحسين عليهما السلام»[2].

٨ـ ما نُسب لزيد بن علي:

نسب التاريخ الأموي والعباسي لزيد بن علي بن الحسين عليه السلام أنه وصف شيعة أهل الكوفة بالغدر بأجداده. فقد روى الطبري في حوادث سنة ١٢١ هـ روايات مختلفة عن شهادته، منها قوله:

«وذكر عن أبي عبيدة أنه قال: اتبعوه إلى الثعلبية. وقالوا له: نحن أربعون ألفاً، إن رجعت إلى الكوفة

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٨٨.
(٢) البلدان: ٢٤٢.

لم يتخلف عنك أحد، وأعطَوه المواثيق والأيمان المغلظة، فجعل يقول: إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني، كفعلكم بأبي وجدي، فيحلفون له»[1].

٩ـ ما نُسب لسلمة بن كهيل:

قال الطبري: «قال: كتب هشام إلى يوسف أن أشخص زيداً إلى بلده، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعو أهله إلا أجابوه فأشخصه، فلما كان بالثعلبية أو القادسية لحقه المشائيم[2] ـ يعني أهل الكوفة ـ فردوه وبايعوه، فأتاه سلمة بن كهيل فاستأذن عليه فأذن له فذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقه، فأحسن. ثم تكلم زيد فأحسن. فقال له سلمة: اجعل لي الأمان، فقال: سبحان الله مثلك يسأل مثلي الأمان؟! وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه ثم قال: لك الأمان. فقال: نشدتك بالله كم بايعك؟ قال: أربعون ألفاً. قال: فكم بايع جدَّك؟

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٨٨.

(٢) الشؤم معروف، خلاف اليُمن. ورجل مشؤوم على قومه، والجمع مشائيم. قال الشاعر:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا بشؤم غرابها

يعني أن أهل الكوفة أهل شؤم ونحس وشر، وليسوا ميامين.

قال: ثمانون ألفاً[1]، قال: فكم حصل معه؟ قال: ثلاثمئة[2]. قال: نشدتك الله أنت خير أم جدك؟ قال: بل جدي. قال: أفقرنك الذي خرجت فيهم خير أم القرن الذي خرج فيهم جدك؟ قال: بل القرن الذي خرج فيهم جدي. قال: أفتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك؟ قال: قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم. قال: أفتأذن لي أن أخرج من البلد؟ قال: لم؟ قال: لا آمن أن يحدث في أمرك حدث فلا أملك نفسي. قال: قد أذنت لك، فخرج إلى اليمامة وخرج زيد، فقتل وصلب»[3].

وسلمة بن كهيل هذا من الزيدية البترية من أصحاب السجاد والباقر عليهما السلام، وليس سلمة بن كهيل من أصحاب علي عليه السلام لأن هذه الواقعة كانت سنة ١٢١ هـ بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بإحدى وثمانين سنة، فيقتضي أنه من

---

(١) هذه إحدى أساليب اتنظير لخيانة أهل الكوفة، بتضخيم أعداد المبايعين، وتقليل عدد الأنصار، وقد أشرنا إليها في رواية مصعب الزبيري.

(٢) هذه رواية أخرى في عدد أصحاب الحسين عليه السلام وقد أحصى السيد الخرسان رحمه الله الأقوال في ذلك فبلغت واحداً وثلاثين قولاً. انظر: نافذة على التاريخ ٦: ١٦٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٨٩.

المعمرين، ولم يذكروه في عدادهم. أما مع فرض اتحادهما بالاسم، فإنه لم يدرك علياً عليه السلام وينحصر في سلمة بن كهيل البتري.

***

والغدر، والخيانة، والشقاق، والنفاق، والإرجاف، تعني في خطاب السلطات الديكتاورية في العالم أمراً واحداً، هو: عصيان الحاكم، وعدم الاعتراف بشرعيته، والتحرك لمواجهته في أدنى فرصة سانحة، وهو ما يميز سيرة أهل العراق على مرّ التاريخ، مع ولاة وخلفاء الدول الدكتاتورية المتعاقبة، وهو ما يبدو جلياً في العبارات والشواهد التي ذكرناها. لذا نجد أن كسرى وقيصر يصفان العرب بهذا الوصف، وأبا جعفر المنصور يصف آل أبي طالب به، ومعاوية يصف بلاد سجستان بذلك، وهكذا.

ذكر ابن قتيبة في المعارف، أن كسرى قال لحاجب بن زرارة: «**إنكم معشر العرب قوم غدر** حرصاء، فإن أذنت لكم أفسدتم البلاد، وأغرتم على الرعية، وآذيتموهم»[1].

(١) المعارف: ٦٠٨. انظر كذلك: ربيع الأبرار للزمخشري ٥: ٣٠١.

وقال أبو الفرج الإصفهاني: «ثم إن قيصر ضمّ إليه[1] جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: **إن العرب قوم غُدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد، ثم يغزوك بمن بعثت معه**»[2].

وأورد ابن الأثير قول معاوية في سجستان: «إنّ آمُل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق، **وهؤلاء قوم غُدر، فإذا اضطرب الجبل غدراً**، فأهون ما يجيء منهم أنهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها»[3].

فلا عجب أن يصف الطاغية معارضيه بالغدر والخيانة والشقاق والنفاق وكثرة الأرجاف، إنما العجب أن تصدّق المعارضة أنها كذلك، فتجلد نفسها بسياط الحاكم، وتعيش حالة الأنس بتلك الأوصاف والألفة معها.

والأعجب من ذلك أن نُصدّق ما نسبه هؤلاء الظلمة لأئمة أهل البيت عليهم السلام من أوصاف في ذم شيعتهم!.

---

(١) أي امرؤ القيس.
(٢) الأغاني ٩: ٦٩.
(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٤٥.

ح-أوصاف أخرى متفرقة:

مما نسبوه لعبد الله المحض أنه بعث كتاباً إلى زيد بن علي يحذره فيه أهل الكوفة، وقد ذكر فيه أوصافاً أخرى في ذمهم.

روى الطبري عن «عمر، عن أبي إسحاق، **شيخ من أهل أصبهان!** حدثه أن عبد الله بن حسن كتب إلى زيد بن علي: يا ابن عم، **إن أهل الكوفة نفخ العلانية، خور السريرة، هرج في الرخاء، جزع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم، ولا تشايعهم قلوبهم، لا يبيتون بعد في الأحداث، ولا ينوؤون بدولة مرجوة.** ولقد تواترت إليّ كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم يأساً منهم واطراحاً لهم، وما لهم مثل إلا ما قال علي بن أبي طالب: **إن أهملتم خضتم، وإن حوربتم خُرتم، وإن اجتمع الناس على إمامٍ طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقة نكصتم**»[1].

هذه خلاصة للصورة التي رسمتها الأقلام الأموية والعباسية والزبيرية، لأهل العراق وأهل

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٨٩.

الكوفة، وهي صورة لا تتجاوز الشيعة إلى غيرهم. بل تتناول أئمة الشيعة أيضاً وسائر شخصياتهم المعروفة.

وسوف نحاول في الفصل التالي استقراء ما ورد عن أئمتنا عليهم السلام في هذا الشأن أيضاً، ثم نقارن بين الصورتين، لنتحقق من النتيجة.

الفصل الثاني: صورة العراق في الأحاديث العلوية والواقع التاريخي

بالعودة للنصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والواقع التاريخي المتفق عليه، نجد صورة مغايرةً تماماً لما لمسناه عند الأمويين والعباسيين والزبيريين وجميع الحكام الظلمة المناوئين لأهل البيت عليهم السلام والرواة المخالفين لمذهبهم.

وقد قسمنا النصوص بهذا الشأن إلى ثلاثة أقسام:

الأولـ النصوص الواردة عنهم عليهم السلام في مدح أهل العراق والكوفة.

الثاني ـ وصف الأمويين وأمثالهم لأئمة أهل البيت عليهم السلام بأنهم: أئمة أهل العراق.

الثالث ـ الواقع التاريخي القطعي الذي يشهد للعراقيين والكوفيين بالوفاء والإخلاص لأئمتهم، والتضحية في سبيل نصرتهم.

وهذا الواقع اشتمل على ثلاثة محاور:

أ ـ دور العراقيين في معارك علي عليه السلام:

ب ـ جهاد شيعة العراق عبر التاريخ:

ج- علم أهل العراق:

أما دورهم في معركة الطف ونهضة مسلم بن عقيل فأفردنا له فصلاً خاصاً، لحاجته للكثير من البحث والتحقيق.

أولاً- النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام:

بالعودة لمصادر الشيعة الحديثية، وبعض مصادر العامة التي روت عن أهل البيت عليهم السلام، نجد العديد من النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تقدم صورة مناقضة تماماً لما ورد عن الأمويين والعباسيين وخصوم الشيعة عموماً.

قال ابن أبي الحديد: «**وقد جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت عليهم السلام الشيء الكثير**»[1].

فمن تلك النصوص والشواهد ما ورد في المصادر التالية، من مصادرنا أو مصادر العامة، وقد اقتصرت على المصادر الأصلية، وأهملت المصادر التي نقلت عنها، أو تأخرت عنها زمنياً، إلا في حال اختلاف المتون بشكل كبير، أو اختلاف الأسانيد:

(١) شرح نهج البلاغة ٣: ١٩٨.

١ـ الكافي:

أ ـ روى ثقة الإسلام الكليني (٣٢٩ هـ) قال: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، جميعاً عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: دخلت أنا وأبي وجدي وعمي حمّاماً بالمدينة، فإذا رجل في بيت المسلخ فقال لنا: ممن القوم؟ فقلنا: من أهل العراق. فقال: **وأي العراق؟** قلنا: كوفيون، فقال: **مرحباً بكم يا أهل الكوفة، أنتم الشعار دون الدثار... فلما خرجنا من الحمام سألنا عن الرجل، فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام، ومعه ابنه محمد بن علي**»[١].

والشعار: ما يلي البدن مباشرةً من الثياب، فيستره ويقيه الحر والبرد. أي: أنتم خواصّنا المقربون منا.

ب ـ في الكافي أيضاً «عن أبي سعيد الخُدري: أنه سئل: ما قولك في هذا السمك الذي يزعم إخواننا من أهل الكوفة أنه حرام؟ فقال أبو سعيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **الكوفةُ جمجمةُ العرب، ورُمح الله تبارك وتعالى، وكنزُ الإيمان، فخذ عنهم**»[٢].

---

(١) الكافي ٦: ٤٩٨.

(٢) الكافي ٦: ٢٤٣. انظر كذلك: علل الشرائع ٢: ٤٦٠.

قال المجلسي: «فالمعنى أن الله يدفع بها البلايا عن أهلها كما مر في الأخبار السابقة، **وأما كونه كنز الإيمان، فلكثرة نشوء المؤمنين الكاملين منها، وانتشار شرائع الإيمان فيها**»[1].

وهذا الحديث مروي أيضاً عند العامة، عن عمر بن الخطاب[2]، وعلي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد وردت في مصادرنا ومصادر العامة العديد من الروايات عن سلمان الفارسي في وصف الكوفة بـ «**أهل الإسلام، وأهل الله، وقبة الإسلام، ومعدن العلم**»[3].

ج ـ في الكافي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**مكةُ حرم الله، والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله والكوفة**

---

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٣٩٧.

(٢) انظر: تاريخ ابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ) ٢: ٣٨٦. وفي أمالي أبي بكر بن البهلول (ت ٣٢٩هـ): ٣٠١: «ذكر عمر أهل الكوفة فقال: جمجمة العرب، ومعدن العلم، ورمح الله عز وجل الأطول». وفي مصنف ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) ٧: ٥٥٤: «قال عمر: الكوفة رمح الله، وكنز الإيمان، وجمجمة العرب، يحرزون ثغورهم، ويمدون الأمصار». ومثله في طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ٦: ٥. وفي فتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) ٢: ٣٥٤: «قال عمر، وذكر الكوفة فقال: هم رمح الله، وكنز الإيمان، وجمجمة العرب، يحرسون ثغورهم، ويمدون أهل الأمصار».

(٣) انظر: رجال الكشي: ٢٠. مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٥٥٣. طبقات ابن سعد ٦: ٦. فتوح البلدان ٢: ٣٥٤. البلدان للفقيه الهمداني: ٢٠١. معجم البلدان ٤: ٤٩٢.

حرمي، لا يريدها جبار بحادثة إلا قصمه الله»[1].

هذه المدينة الموصوفة بحرم علي صلى الله عليه وآله على لسان علي عليه السلام، نجدها في الذهنية العباسية «مدرة خبيثة سوداء» كما تقدم.

٢ـ كامل الزيارات:

أ ـ عن الشيخ الأجل جعفر بن قولويه (٣٦٨ هـ) عن الإمام السجاد عليه السلام من رواية طويلة جاء فيها: «...ثم قال لي جبرئيل: يا محمد، إنّ أخاك مضطهد بعدك مغلوب على أمتك، متعوب من أعدائك، ثم مقتول بعدك، يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقى البرية، يكون نظير عاقر الناقة، **ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم...**»[2].

فمن قتل علياً عليه السلام هو شر الخلق والخليقة، أما شيعته فيها وشيعة ولده فيكثر مصابهم وتعظم بلواهم. وهي أصل الشيعة ومغرسهم بحسب الرواية.

ب ـ روى ابن قولويه في كامل الزيارات أيضاً،

---

(١) الكافي ٤: ٥٦٣.

(٢) كامل الزيارات: ٢٦٣.

قال:

«وحدثني محمد بن الحسن عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال عن مفضل بن صالح عن محمد بن علي الحلبي عن **أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلا أهل الكوفة، وإنّ إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروب فيصلي عنده أربع ركعات إلا رجعه الله مسروراً بقضاء حاجته**»[1].

وفي بصائر الدرجات لمحمد بن حسن الصفار (ت: ٢٩٠) بهذا السند، لكنها اقتصرت على قوله: «**إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلا أهل الكوفة**»[2].

ج- في كامل الزيارات أيضاً:

«حدثني محمد بن جعفر، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن ناجية، عن عامر بن كثير، عن أبي النمير قال: **قال أبو جعفر عليه السلام: إن ولايتنا عرضت على أهل الأمصار فلم يقبلها قبول أهل**

---

(١) كامل الزيارات: ١٦٨.

(٢) بصائر الدرجات ١: ٧٦.

الكوفة. وذلك لأن قبر علي عليه السلام فيها وأن إلى لزقه لقبراً آخر، يعني قبر الحسين عليه السلام فما من آتٍ يأتيه فيصلي عنده ركعتين أو أربعة ثم يسأل الله حاجته إلا قضاها له، وإنه ليحف به كل يوم ألف ملك»[1].

٣ـ تفسير فرات الكوفي:

في تفسير فرات الكوفي (ت: ٣٠٧ هـ): «إسماعيل بن إبراهيم، بإسناده عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقال لنا: ممن أنتم؟ فقلنا له: من أهل الكوفة، فقال لنا: إنه ليس بلد من البلدان، ولا مصر من الأمصار، أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس، فأحببتمونا وأبغضنا الناس، وصدّقتمونا وكذبنا الناس، واتّبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا. فأشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما تَقرُّ به عينُه، إلا أن تبلغ نفسه هاهنا، وأومأ بيده إلى حلقه»[2].

---

(١) كامل الزيارات: ١٦٨.
(٢) تفسير فرات الكوفي: ٢١٦.

رواه الكليني أيضاً في الكافي[1] بطريق آخر لعبد الله بن الوليد. وفيه: «**فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا**» على نحو الدعاء. و «**ما يُقرّ الله به عينيه وأن يغتبط**». ورواه الطوسي في الأمالي[2] بطريقين متّصلين، عن عبد الله بن الوليد.

٤ـ طبقات ابن سعد:

في طبقات ابن سعد (٢٣٠ هـ): «عن الأصبغ بن نُباته عن علي قال: **الكوفة جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله ورمحه، يضعه حيث يشاء. وأيم الله لينصرن الله بأهلها في مشارق الأرض ومغاربها كما انتصر بالحجارة**»[3].

وروى ابن الفقيه، عن سلمان الفارسي، أنه كان يقول: «**الكوفة أهل الله، وهي قبة الإسلام، يحنّ إليه كل مسلم**»[4].

٥ـ شرح نهج البلاغة:

ذكر ابن أبي الحديد مجموعة من النصوص عن

---

(١) الكافي ٨: ٨١.
(٢) أمالي الطوسي: ١٤٤. و: ٦٧٨.
(٣) الطبقات الكبرى ٦: ٦. انظر كذلك: البلدان: ٢٠٠.. معجم البلدان ٤: ٤٩٢. مستدرك نهج البلاغة: ١٦٤.
(٤) كتاب البلدان: ٢٠١.

أئمة أهل البيت عليهم السلام في فضل الكوفة وأهلها، منها:

أ- قول أمير المؤمنين عليه السلام إنها: «**نعمت المدرة**» فيما يسميها الدوانيقي: المدرة الخبيثة.

ب - وقوله عليه السلام: «**هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا**».

ج- وقوله عليه السلام في الكوفة: «**تربةٌ تحبنا ونحبها**».

د- وقول جعفر بن محمد عليه السلام فيها: «**اللهم ارم من رماها وعاد من عاداها**».

هـ - وعن علي عليه السلام: «**إنه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً، وجوههم على صورة القمر**»[1].

و- في شرح النهج أيضاً: «قال أبو مخنف: فلما قدم أهل الكوفة على علي عليه السلام، سلموا عليه، وقالوا: الحمد لله يا أمير المؤمنين، الذي اختصنا بموازرتك، وأكرمنا بنصرتك، قد أجبناك طائعين غير مكرهين، فمرنا بأمرك.

قال: فقام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله وقال: **مرحباً بأهل الكوفة، بيوتات العرب**

(١) شرح النهج ٣: ١٩٨.

ووجوهها، وأهل الفضل وفرسانها، وأشد العرب مودة لرسول الله صلى الله عليه ولأهل بيته، ولذلك بعثت إليكم واستصرختكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي، عن غير جور مني ولا حدث..»[1].

وهذه الخطبة حرّفها سيف بن عمر الكذّاب، فلم يذكر فيها الثناء عليهم ولا الدعاء لهم، ولا وصفهم بالمودّة العظيمة للنبي وأهل بيته، ولا بأنه اختارهم ثقة بهم للنصرة على الناكثين. وما أكثر هذا التزوير الذي سطرته أقلام سيف وأمثاله، ونقله الطبري وأشباهه، حتى عشعش في أذهان المسلمين، ومنهم بعض الشيعة!.

قال سيف بن عمر: «لما التقوا بذي قار، تلقاهم علي في أناس، فيهم ابن عباس، فرحب بهم، وقال: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم، وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأغنيتم حوزتكم، وأعنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجّوا داويناهم بالرفق،

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ١٨٨.

وباينّاهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله»[1].

٦ـ الغارات:

ذكر الثقفي (٢٨٣ هـ) في الغارات، عن كتاب فضل الكوفة قال: اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة... فقيل له في ذلك فقال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**كوفان، يرد أولها على آخرها، يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب**»[2].

٧ـ تاريخ الطبري:

أ ـ روى الطبري (٣١٠ هـ) عن علي عليه السلام قال: «**يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري، وأعواني على الحق، وأصحابي إلى جهاد المُحلّين، بكم أضرب المدبر، وأرجو تمام طاعة المقبل**»[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٠٢.
(٢) الغارات ٢: ٨٤٥. وانظر تفصيل مصادر ودلالات هذا الحديث من مصادر أهل السنة التي ذكرها الباحث المحقق الشيخ باسم الحلي في كتاب: فضل أهل الكوفة: ٤١ وما بعدها.
(٣) مستدرك نهج البلاغة: ٦١. تاريخ الطبري ٤: ٥٨. جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت ١: ٣٩٥.

ب ـ وروى عن علي عليه السلام: «إنّ أهل الكوفة أشدّ إليّ حباً، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم»[1].

٨ـ الجمل:

روى الشيخ المفيد (٤١٣ هـ) في كتاب الجمل، أن علياً عليه السلام خطب في ذي قار بعد وصول الحشود الكوفية لنصرته: «يا أهل الكوفة، إنكم من أكرم المسلمين وأعدلهم سنة، وأفضلهم في الإسلام سهماً، وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً، حزبكم بيوتات العرب وفرسانهم ومواليهم، أنتم أشد العرب وداً للنبي]ولأهل بيته[. وإنما اخترتكم ثقة بعد الله، لما بذلتم لي أنفسكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وعهدي، وخلافهما طاعتي، وإقبالهما بعائشة لمخالفتي ومبارزتي، وإخراجهما لها من بيتها، حتى أقدماها البصرة.... ثم سكت عليه السلام. فأجابه أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوك، ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه. فرد عليهم خيراً»[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٩٢.

(٢) الجمل: ١٤٣. الإرشاد ١: ٢٥٠. وفيها: أنتم أشد العرب وداً للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل بيته.

وفي الإرشاد: «فدعا لهم أمير المؤمنين عليه السلام وأثنى عليهم»[1].

ومع أن الشيخ نقل كتاب الجمل من مصادر العامة ورجالهم، ولم ينقل عن مصدر شيعي كما صرح بذلك، إلا أن هذا الخطبة التي ذكرها في كل من الجمل والإرشاد، لم نجد لها عيناً ولا أثراً في كتب العامة فيما بعد عصر الشيخ المفيد! فأين ذهبت يا ترى؟

٩ـ وقعة صفين:

أ ـ خطب علي عليه السلام في أنصاره في الكوفة بعيد وصوله إليها قادماً من البصرة، فكان مما قال: «وأنتم أعلم الناس بحلاله وحرامه، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما أنالكم من الأجر والكرامة، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى. فلا أعرف أحداً منكم تقاعس عني وقال: في غيري كفاية، فإن الذَّود إلى الذود إبل،

(١) الإرشاد ١: ٢٥٠. وعنه البحار ٣٢: ١١٥.
أقول: لكن التاريخ الأموي أغفل الدعاء لهم والثناء عليهم في مواطن عديدة، واصطنع الذمّ والدعاء عليهم، ونشره بين عامة الناس وخاصتهم.

ومن لا يذُد عن حوضه يتهدم»[1].

ب- خطبة الإمام الحسن في الكوفة، ومنها قوله: «يا أهل الكوفة، أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار. جِدُّوا في إحياء ما دثر بينكم، وإسهال ما توعّر عليكم، وألفة ما ذاع منكم...»[2].

١٠- من لا يحضره الفقيه:

روى الشيخ الصدوق عن الأصبغ بن نُباتة قال: «بينا نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة إذ قال: يا أهل الكوفة، لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحبِ به أحداً من فضل: مصلاكم بيت آدم، وبيت نوح، وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم الخليل، ومصلى أخي الخضر عليه السلام ومصلاي. وإنّ مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد التي اختارها الله عز وجل لأهلها، وكأني به قد أتي به يوم القيامة في ثوبين أبيضين يتشبه بالمحرم، ويشفع لأهله، ولمن يصلي فيه فلا ترد شفاعته. ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه، وليأتين عليه زمان يكون مصلى المهدي من ولدي، ومصلى كل مؤمن،

(١) وقعة صفين: ١١٣. انظر كذلك: شرح نهج البلاغة ٣: ١٨٥.
(٢) وقعة صفين: ١١٤. شرح النهج ٣: ١٨٦.

ولا يبقى على الأرض مؤمن إلا كان به أو حنّ قلبه إليه، فلا تهجروه، وتقربوا إلى الله عز وجل بالصلاة فيه، وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض و لو حبواً على الثلج»[1].

أقول: هذه الأرض الطيبة المباركة، التي تفيض فيها كلمات أمير المؤمنين عليه السلام حباً وثناءً، يصفها العباسيون والأمويون بالمدرة الخبيثة السوداء!.

١١ـ تهذيب الأحكام:

ـ روى الشيخ عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «يا أهل الكوفة، لقد أعطيتم خيراً كثيراً، وأنتم لمّن امتحن الله قلبه للإيمان، مُستذَلُّون مقهورون مُمتحنون، لَيُصبُّ البلاء عليكم صباً، ثم يكشفه كاشف الكرب العظيم. والله لو عرف الناس فضل هذا اليوم[2] بحقيقته لصافحتهم الملائكة في كل يوم عشر مرات»[3].

---

(١) الفقيه ١: ٢٣١.
(٢) وهو يوم الغدير.
(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٢٤. الغارات ٢: ٨٥٩.

١٢ـ تاريخ الإسلام:

قال الدكتور حسن إبراهيم حسن:

«وكان علي يحبّ الكوفة، ويؤثرها على المدينة، حتى قال فيها: **الكوفة كنزُ الإيمان وحجة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء. والذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز**. وكان إذا أشرف عليها قال: يا حبذا مقامنا بالكوفة، تعرفها جمالنا العلوفة، أرض سوداء سهلة معروفة»[1]. والصحيح: أرض سواد، لا سوداء. وهي صفة العراق عموماً آنذاك لكثرة ما فيه من زرع ونخيل.

ثانياً ـ أئمة أهل العراق:

عند التأمل في تاريخ السلطات المتعاقبة على قيادة المسلمين، نجد أنهم يصنّفون أئمة أهل البيت عليهم السلام على أهل العراق عموماً والكوفة بالخصوص، لأن الولاء لأهل البيت عليهم السلام هو الصفة المميزة لأهل العراق على مدى التاريخ.

ففي الكافي، عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي

(١) تاريخ الإسلام ١: ٥١٩.

جعفر عليه السلام، في السنة التي كان حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت، وقد اجتمع عليه الناس، فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تداكّ عليه الناس؟ فقال: **هذا نبيُّ أهل الكوفة، هذا محمد بن علي**، فقال: أشهد لآتينه فلأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي، قال: فاذهب إليه وسله لعلك تخجله»[1].

وفي الكافي أيضاً: «أقبل أبو جعفر عليه السلام في المسجد الحرام، فنظر إليه قوم من قريش فقالوا من هذا؟ فقيل لهم: **إمام أهل العراق**، فقال بعضهم لو بعثتم إليه ببعضكم يسأله، فأتاه شاب منهم...».

ثالثاً ـ الواقع التاريخي:

ولا نعني به هنا الروايات المختلفة المتضاربة التي من شأنها إثارة الجدل والخلاف، إنما نعني الواقع التاريخي المتواتر المشهور، الذي لا يضرّ فيه اختلاف التفاصيل والجزئيات. وسوف نأخذ على سبيل

(١) الكافي ٨: ١٢٠.

المثال لا الحصر، مجموعة من الوقائع التي تعكس بشكل قاطع موقف أهل العراق من أهل البيت عليهم السلام وما قدموه من تضحيات جسام في هذا السبيل، وسوف نجعلها في ثلاثة عناوين:

أ- العراقيون في معارك علي عليه السلام:

لقد خاض الإمام أمير المؤمنين خلال فترة قصيرة من خلافته، ثلاثاً من الحروب الدموية العنيفة، هي الجمل وصفين والنهروان، وقد قامت كلها على جماجم ودماء العراقيين من أهل الكوفة والبصرة، وثلة قليلة من الحجازيين، وسوف نلقي نظرة سريعة على دورهم في تلك المعارك والحروب.

١- وقعة الجمل ومعارك البصرة:

بعد مقتل عثمان، وبيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ورفض معاوية بيعته، اتخذ أمير المؤمنين عليه السلام قراراً جريئاً خطيراً لم يكن لأحد غيره أن يقدم عليه، وهو عزل معاوية بالقوة عن ولاية الشام.

وقد حاول علي عليه السلام أن يجمع جيشاً من المدينة فلم يستجب له إلا القليل، حتى أن سيف بن عمر

جعلهما اثنين فقط من أعلام الأنصار[1].

ونقلوا عن مجالد عن الشعبي قوله: «الله الذي لا إله إلا هو، ما نهض في ذلك الأمر إلا ستة بدريين ما لهم سابع»[2]. وعلى أفضل التقادير نهض معه سبعمئة فقط من المهاجرين والأنصار[3].

أما سائر أهل المدينة، فكانوا بين معتزل لبيعة علي عليه السلام كابن عمر ومحمد بن مسلمو وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، أو ناكث هارب التحق بعائشة في مكة، كبني أمية وطلحة والزبير.

أما الجيش المناهض لعلي عليه السلام فقد تجمع في مكة، بقيادة طلحة والزبير عائشة، وتوجهوا نحو البصرة للاستيلاء عليها، وكان عليها الوالي الجديد لعلي عليه السلام عثمان بن حنيف الأنصاري، وكانوا قد قصدوا الاستيلاء عليها ثم على الكوفة، كما كاتبوا معاوية أن يمدهم بالجند من أهل الشام. وبذلك تشكّلت أكبر جبهة عسكرية وسياسية للإطاحة بعلي عليه السلام.

فخرج علي عليه السلام من المدينة ومعه جماعة منها، وأمّر

(١) انظر: الطبري ٣: ٤٦٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: الجمل: ١٢٦.

على المدينة سهل بن حنيف، أخا عثمان بن حنيف والي البصرة، وقيل غيره، بعد أن أشار عليه جملة من أنصاره ومنهم عمار بن ياسر، بالمسير إلى الكوفة لاستنهاض أهلها لأنهم شيعة لعلي[1]. وسار حتى بلغ الرَّبذة، ثم نزل «ذي قار» من أرض العراق.

قال البلاذري والثقفي: «وقال أبو مخنف، وغيره: لما دعا الحسن وعمار أهل الكوفة إلى إنجاد علي والنهوض إليه، **سارعوا إلى ذلك، فنفر مع الحسن عشرة آلاف على راياتهم، ويقال: اثنا عشر ألفاً**»[2].

أما جيش مكة فتوجه نحو البصرة، وكانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: ثلاثون ألفاً. فاستقبلهم شيعة علي عليه السلام واستماتوا في الدفاع عنها، واقتتلوا قتالاً شديداً، وأصيب يومئذٍ من عبد القيس خاصة خمسمئة شيخ مخضوب من أصحاب عثمان بن حنيف الأنصاري، وشيعة علي عليه السلام سوى من أصيب من سائر الناس. وهذه هي المعركة الأولى في البصرة (معركة الجمل الأولى).

ثم خرجوا على مسناة البصرة فانتهوا إلى الزابوقة،

---

(١) انظر: الجمل: ١٢٨.
(٢) أنساب الأشراف ٢: ٢٣٥. الغارات ١: ٥١.

فاقتتلوا مرة أخرى قتالاً شديداً كثر فيه القتلى والجرحى. كل ذلك كان قبل وصول علي عليه السلام إلى البصرة، وهي معركة الجمل الثانية.

ثم اتفق الطرفان على إيقاف القتال حتى وصول علي عليه السلام إلى البصرة، وكانت خديعة من جيش مكة، إذ هاجموا البصرة تحت جنح الظلام، وغدروا بأهلها، فقتلوا السبابجة الأجانب، وهم حراس بيت المال، وألقوا القبض على عثمان بن حنيف، واستولوا على بيت المال.

ثم حدثت معركة أخرى بقيادة حكيم بن جبلة العبدي، وهو من خيار شيعة علي، فاقتتل مع جيش طلحة والزبير وعائشة قتالاً شديداً، وكان بين الشهداء قائد هذه المعركة حكيم بن جبلة العبدي وبعض إخوته وأقربائه من شيعة علي[1].

هذا الدفاع المستميت عن البصرة مع قلة أعداد الجيش والحرس فيها كان قبل وصول علي عليه السلام.

وقد وردت خلاصة الموقف في البصرة، في كتاب علي عليه السلام لوالي الكوفة أبي موسى الأشعري، جاء فيه:

(١) انظر: الجمل: ١٥٣.

«أما بعد فإني أرسلتُ إليك هاشم بن عتبة المرقال، لتشخص معه من قبلك من المسلمين، **ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي، وقتلوا شيعتي**»[1].

كما ذكر ذلك في خطبة أخرى في البصرة جاء فيها: «أيها الناس، إن طلحة والزبير قدما البصرة، **وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي**، فدعواهم إلى معصية الله تعالى وخلافي، فمن أطاعهما منهم فتنوه، ومن عصاهما قتلوه، **وقد كان من قتلهما حكيم بن جبلة ما بلغكم، وقتلهم السبابجة، وفعلهما بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم**. وقد كشفوا الآن القناع، وأذنوا بالحرب، وقام طلحة بالشتم والقدح في أديانكم، وقد أرعد وصاحبه وأبرقا، وهذان أمران معهما الفشل»[2].

وهكذا بقي علي عليه السلام في ذي قار مع عدد قليل من المقاتلين الحجازيين لا يساوي شيئاً قبال الجيش الجرار القادم من مكة، ومن التحق به من شيعة عثمان في البصرة. فانتظر حتى التحق به الآلاف من شيعته من الكوفة والبصرة، حتى بلغ جيشه ستة عشر

(١) الجمل: ١٣٠.
(٢) الجمل: ١٧٧.

ألفاً[1]، غالبيتهم الساحقة من الكوفة والبصرة، في حين لم يخرج معه من المدينة سوى سبعمئة من المهاجرين والأنصار، وفي أفضل الأحوال ما يقرب من ألف مقاتل فقط.

ودارت معركة الجمل، فكانت يوماً واحداً، انتصر فيها علي عليه السلام على جيش عرمرم، لا يعرف الرحمة ولا القيم الإنسانية ولا الإسلامية. **وحسم المعركة بجهاد وجهود وسيوف أهل العراق من الكوفة والبصرة.**

٢ـ حرب صفين:

بعد انتهاء معركة الجمل، وهزيمة جيش مكة على يد علي عليه السلام وأنصاره من أهل العراق، توجه نحو الكوفة. فلما دخلها «ومعه أشراف الناس، وأهل البصرة، استقبله أهل الكوفة، وفيهم قراؤهم وأشرافهم، فدعوا له بالبركة»[2].

ثم تقاطرت عليه وفود أهل العراق، من البصرة وغيرها، ثم بعث جرير بن عبد الله الهمداني إلى

---

(١) انظر أعداد الجيش وتنظيمه وقياداته والقبائل العراقية التي شاركت فيه، في كتاب الجمل: ١٧٢.
(٢) وقعة صفين: ٣.

معاوية، وانتهت المفاوضات بالفشل.

فجهز عليٌّ عليه السلام جيشاً جراراً من أهل العراق، بلغ تعداده مئة ألف أو يزيدون[1]، واشتعلت المعارك اليومية، ودارت رحاها بين (أهل العراق) و(أهل الشام). حتى أصبحت العراقية صفة لجيش علي عليه السلام فلا يقال: عراقي، إلا وهو مناصر لعلي، كما أصبحت الشامية صفة لجيش الشام.

ومن الحوادث الملفتة للنظر في تلك المعركة أن جيش الشام قد حال بين جيش العراق وماء الفرات، وبقي جيش علي عليه السلام يوماً وليلة بلا ماء، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: «خلّ بينهم وبين الماء، **فإن علياً لم يكن ليظمأ وأنت رَيّان، وفي يده أعنة الخيل، وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت، وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق، ومعه أهل العراق وأهل الحجاز**. وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً ـ فذكر أمراً ـ يعني لو أن معي أربعين رجلاً يوم فتش البيت. يعني بيت فاطمة»[2].

---

(١) وقعة صفين: ١٥٧. وقال في موضع آخر: استعمل علي عليه السلام على مقدمته الأشتر بن الحارث النخعي، وسار علي في خمسين ومئة ألف من أهل العراق. وقعة صفين: ١٥٦.

(٢) وقعة صفين: ١٦٣.

وروى نصر بن مزاحم المنقري أن الحصار والعطش أثار في نفوس العراقيين النخوة والحمية والإصرار على القتال، خلاف ما كان يظن معاوية، فكان علي عليه السلام يسمع الأشعار الحماسية تنطلق من القبائل وهي تطالبه بالسماح لها بفك الحصار أو الموت على طاعة علي عليه السلام. وكانت قبيلة كندة أجبرت قائدها الأشعث بن قيس على أن يطالب علياً بالهجوم نحو الفرات.

يقول أحد شعراء مذحج:

أيمنعنا القوم ماء الفرات
وفينا الرماح وفينا الحَجَفْ[1]
وفينا الشوازب مثل الوشيج
السيوف وفينا الزَّغَفْ[2]
وفينا عليٌّ له سَورةٌ
إذا خوّفوه الرّدَى لم يَخَفْ

(١) الحَجَف: جمع الحَجَفة، وهي التُّرس من جلود الإبل. وتسمى الدَّرَقة أيضاً.

(٢) الشوازب: الخيل الضامرة. والوشيج: أراد به الرماح، وأصل الوشيج شجر الرماح. وشبّه الخيل بالرماح في دقتها وضمرها. والزَّغَف: جمع زَغْفة، وهي الدرع الواسعة الطويلة المحكمة. والغين تسكن وتحرك في المفرد والجمع.

فنحن الذين غداة الزبير
وطلحة خُضنا غمار التلف
فما بالُنا أمس أُسْدُ العرين
وما بالنا اليوم شاء النجف
فما للعراق وما للحجاز
سوى اليوم يومٌ فصكوا الهدف
فدِبُّوا إليهم كبُزل الجمال
دوين الذَّميلِ وفوق القَطَف[1]
فإما تحلّوا بشط الفرات
ومنا ومنهم عليه الجيف
وإما تموتوا على طاعةٍ
تحل الجنان وتحبو الشرف
وإلا فأنتم عبيد العصا
وعبد العصا مستذل نطف

وانتدب اثنا عشر ألفاً من رجال العراق والحجاز بقيادة الأشتر النخعي، فأقحم الخيل حتى وضع سنابكها في الفرات، وأخذت أهل الشام السيوف فولّوا مدبرين.

(١) الذميل والقطف: نوعان من مسير الجمال.

ومن ينظر في أشعار صفين يدرك بلا أدنى شك، أن اصطلاح «أهل العراق» وإن كان يعني جيش علي عليه السلام عموماً، وهو جيش كبير فيه الشيعة وغير الشيعة، إلا أنه من العام المراد به الخاص، أي أنه يعني الشيعة بالخصوص، فقد كان شيعة علي عليه السلام الدعامة الأساسية في الجيش، بما يمتلكون من عقيدة وفروسية وشجاعة وإقدام على الموت.

فمن ذلك ما ورد على لسان أخت الأجلح الكندي من قولها وهي ترثي أخاها الذي كان في جيش الشام[1]:

كريم ماجد الجدين
يشفي من أعادينا
وممن قاد جيشهم
عليٌّ والمضلّونا
شفانا الله من أهل
العراق فقد أبادونا

وقد تقدم قول الشاعر المذحجي:

(١) انظر: وقعة صفين: ١٧٨.

وإمـا تموتـوا على طاعـةٍ
تحـل الجنـان وتحبـو الشرف

وقول الآخر:

أنصرُ خير راكـب ومـاش
أعنـي عليـاً بيّن الريـاش
مـن خير خلـق الله في نشـناش
مبرأ مـن نـزق الطيـاش

ومن خلال تعبئة علي عليه السلام للجيش أثناء الحرب، نجد أن عمدته وغالبيته الساحقة كانت من الكوفة والبصرة، مع ثلة قليلة من أهل الحجاز.

جاء في وقعة صفين: «أن علياً عليه السلام بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد. وكان قد أقبل من مصر إلى صفين. وجعل معه هاشم بن عتبة، وابنه، وجعل مسعود بن فدكي التميمي على قرّاء أهل البصرة. فصار قراء أهل الكوفة إلى ابن بديل وعمار بن ياسر»[1].

(١) وقعة صفين: ٢٠٨.

وهكذا نجد أن هذه الحرب قامت على رؤوس العراقيين، وشُيّدت بجماجمهم، وارتوت من دمائهم، وهي حربٌ ضروس استمرت ما يقرب من أربعة أشهر، خلفت وراءها آلاف الشهداء، وأفواجاً من الأرامل واليتامى والآلام والآهات، كل ذلك في طاعة علي عليه السلام وانقياداً لأمره.

٣ـ يوم النهراوان:

في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وبعد فتنة التحكيم التي انطلقت بخديعة عمرو بن العاص، خرج على عليّ ما يقرب من اثني عشر ألفاً، تديّنوا ببغضه وسبه وتكفيره، وقتل من ينتمي إليه. فبعث إليهم عبد الله بن عباس، فكلمهم وحاجّهم، فرجع أكثرهم.

قال البلاذري نقلاً علن أبي مجلز: «وبعث عليٌّ إلى الخوارج أن سيروا إلى حيث شئتم، ولا تفسدوا في الأرض، فإني غير هائجكم ما لم تحدثوا حدثاً. فساروا حتى أتوا النهروان، وأجمع عليّ على إتيان صفين، وبلغ (ذلك) معاوية فسار حتى أتى صفين»[1].

(١) أنساب الأشراف ٢: ٣٦٧.

ثم ارتكب الخوارج جريمة قتل عبد الله بن خباب بن الأرتّ وزوجته، وثلاث نسوة كنّ معه. فطالبهم بتسليم قاتله. « فبعثوا إليه: أنه ليس بيننا وبينك إلا السيف، إلا أن تقرّ بالكفر وتتوب كما تُبنا. فقال علي: أبعد جهادي مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، وإيماني، أشهد على نفسي بالكفر؟ لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين»[1].

ومن المعلوم أن الخوارج لم يكونوا يوماً من شيعة علي عليه السلام يظهر ذلك جلياً من خُطبهم وكتبهم وكلماتهم هنا وهناك.

فمن ذلك كتاب عبد الله بن وهب الراسبي إلى أمير المؤمنين عليه السلام يثني فيه على سيرة أبي بكر وعمر، جاء فيه: «إن الله بعث محمداً بالحق، وتكفّل له بالنصر، كما بلغ رسالاته، ثم توفاه إلى رحمته. **وقام بالأمر بعده أبو بكر بما قد شهدته وعاينته، متمسكاً بدين الله، مؤثراً لرضاه، حتى أتاه أمر ربّه، فاستخلف عمر، فكان من سيرته ما أنت عالم به، لم تأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة**»[2].

---

(١) ()أنساب الأشراف ٢: ٣٦٩.
(٢) أنساب الأشراف ٢: ٣٧٠.

وقال عبد الله بن شجرة السلمي الخارجي قبل نشوب القتال: «**إن الحق قد أضاء لنا، فلسنا متابعيكم أبداً، أو تأتونا بمثل عمر**»[1].

ولم يبدأهم علي عليه السلام بقتال، وبالغ في وعظهم والنصيحة لهم، إلا أنهم أصروا على القتال، وهاجموا جيش علي عليه السلام وما هي إلا جولة حتى قضى عليهم علي عليه السلام ومن معه.

هذه ـ باختصار شديد ـ أبرز ثلاثة مشاهد، وقف فيها أهل العراق وقفات مشرفة في احتضان عليّ والتفاني في الدفاع عنه، واستعذاب الموت في سبيله، يوم لم يكن له ناصر غيرهم إلا أقل القليل. إلا أن التأريخ الأموي والعباسي قلبها رأساً على عقب، وجعلها خذلاناً وغدراً وتهاوناً، بل نسب للعراقيين قتل علي عليه السلام وهم منه براء.

---

(١) أنساب الأشراف ٢: ٣٧١. فالخوارج لم يكونوا قبل ذلك من الشيعة بالمعنى العقدي الخاص، إنما كانوا في جيش علي عليه السلام. لكن الدعاية الأموية، والتثقيف العباسي، بمعونة الأقلام الزبيرية وغيرها، جعلت كلّ من في جيش علي عليه السلام شيعة له بالمعنى الخاص، لا سيما بعد استشهاد أبي عبيد الله الحسين عليه السلام واشتراك الكثير من الخوارج في قتله، وعلى رأسهم شبث بن ربعي. وكذلك اشتراك بعض العناصر ممن كانوا في جيش علي، لكنهم من القائلين أيضاً بإمامة من سبقه.

ب- جهاد شيعة العراق عبر التاريخ:

من لديه أدنى اطلاع على التأريخ، ومن يمتلك الحد الأدنى من الإنصاف، لا يستطيع تجاوز حقيقة تاريخية حاصلها: أن شيعة العراق هم الذين حملوا راية الجهاد لحفظ الهوية العقدية لهذا المذهب، ولم يكن لمذهب أهل البيت عليهم السلام أن يستمر لولا دماؤهم ومدادهم على مدى التاريخ.

وهذا العنوان بحاجة لدراسة موسعة مستقلة لا يتسع لها البحث، ونكتفي بالإشارة إلى ذلك، لما له من شهرة وواقع لا ينكره إلا مكابر.

وسوف نتكلم عن دورهم في واقعة الطف ونصرة الحسين عليه السلام في محل آخر بالتفصيل، إلا أن التاريخ الواصل إلينا بعد واقعة الطف يشهد بلا ريب أن جذوة الجهاد لم تنطفئ في هذه البلاد، بل لا نجد في تلك الحقب بلاداً غيرها حملت راية التشيع، وبذلت الغالي والنفيس لحفظها، وضمّخت كل بقعة من أرض العراق بالدماء في هذا السبيل، وتحملت التهجير والسجون والتعذيب والإفقار والتشويه الممنهج.

فلم يركن شيعة العراق والكوفة يوماً واحداً بعد

واقعة الطف للأمر الواقع، ولم يستسلموا للسجون والأطواق الأمنية المحكمة، فما إن تراخت القبضة الأموية على الكوفة، حتى انطلقوا من السجون، وتجمع المشردون منهم في البقاع البعيدة أو القريبة، وفتكوا بقتلة الحسين عليه السلام بقيادة المختار الثقفي، ومنهم من قرر الخروج من الكوفة لملاقاة الجيش الأموي الشامي القادم نحو الكوفة، والتقوا معه في عين الوردة، فاستشهد منهم بضعة آلاف، وهو ما عرف تاريخياً بثورة التوابين، التي يأتي الحديث عنها في محل آخر، والتي تعرضت هي الأخرى للتشويه والتحريف.

ثم نشبت ثورة زيد بن علي عليه السلام في الكوفة، وكان وقودها شيعة الكوفة بالخصوص، فقتل فيها من قتل، وسبيت فيها النساء، وانتهكت فيها الأعراض، وتعرض الشيعة لحملة إبادة وحشية لم يشهد لها تاريخ الكوفة مثيلاً، حتى أن بعض النساء تعرضن للتعرية والقتل تقطيعاً على يد النواصب من الزبيريين أو الأمويين.

قال البلاذري: «وبعث يوسف بن عمر، إلى أم امرأة لزيد أزدية، فهدم دارها وحُملت إليه. فقال

لها: أزوَّجتِ زيداً؟ قالت: نعم، زوجته وهو سامع مطيع، ولو خطب إليك إذ كان كذلك لزوجتَه. فقال: شُقّوا عليها ثيابها. فجلدها بالسياط وهي تشتمه، وتقول: ما أنت بعربي، أتعرّيني وتضربني؟ لعنك الله. فماتت تحت السياط، ثم أمر بها فألقيت في العراء. فسرقها قومها ودفنوها في مقابرهم»[1].

وروى البلاذري بعض ممارسات يوسف بن عمر في هتك الأعراض، قال: «وأخذ ـ يوسف بن عمر ـ امرأة قوّت زيداً على أمره، فأمر بها أن يقطع يدها ورجلها، فقالت: اقطعوا رجلي أولاً حتى أجمع عليّ ثيابي، فقطعت يدها ورجلها ولم تحسم حتى ماتت. وضربت عنق زوجها. وضرب امرأة أشارت على أمها أن تؤوي ابنة زيد، خمسمئة سوط، وهدم دوراً كثيرة.

وأُتي يوسف بعبد الله بن يعقوب السلمي من ولد عقبة بن فرقد، وكان زوَّج ابنته من يحيى بن زيد، فقال له يوسف: ائتني بابنتك. قال: وما تصنع بها؟ جارية عاتق في البيت. قال: أقسم لتأتيني بها أو لأضربن

(١) أنساب الأشراف ٣: ٢٥٥.

عنقك. وقد كان كتب إلى هشام يصف طاعته. فأبى أن يأتيه بابنته، فضرب عنقه، وأمر العريف أن يأتيه بابنة عبد الله بن يعقوب فأبى، فأمر به فدقت يده ورجله»[1].

وقد تقدم عن ابن عمر قوله لمصعب بن الزبير بعد قتله ستة آلاف من الشيعة بعد ثورة المختار: «أأنت الذي قتلت ستّة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة على دم؟ فقال: **إنّهم كانوا سحرة كفرة**، فقال له: **والله لو كانوا غنماً من تراث الزبير لقد كان ما أتيت عظيماً**»[2].

واستمرت الثورات الشيعية عبر التاريخ انطلاقاً من العراق والكوفة بالخصوص، فلم يركن شيعتها للظلم يوماً، ولم يصابوا بالوهن والتقاعس، ولم يذعنوا للظالمين، فيما كانت سائر البلدان - إلا ما ندر منها في بعض مقاطع التاريخ - تخضع للملوك والأمراء، وتستمرئ الذل والهوان.

وقد تقدم قول أبي العباس: «قد علم الناس أنه ليس في الأرض بلد أجمع أهلُه على حبّ بني هاشم

---

(١) المصدر السابق.
(٢) أنساب الأشراف ٦: ٤٤٥.

إلا الكوفة. وما قُتل أحد من بني هاشم في شرق ولا غرب إلا وحوله قتلى من أهل الكوفة تختلط دماؤهم بدمه»[1].

ج- علم أهل العراق:

أما في الجانب العلمي ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام وثقافتهم، فلا تجد بلداً يضاهي العراق في ذلك، فهو مركز التشيع، ومهده، فيه نما وترعرع، وانتشر حتى بلغ أقصى الأرض في جهاتها الأربع.

وقد خاض شيعة العراق والكوفة غمار المعارك الفكرية المريرة في علم الكلام، والتفسير، والفقه، والأدب، واللغة، وسائر العلوم الأخرى. فمن هذه البلاد خرج أساطين التشيع في شتى مجالات العلوم، وحملوا راية التشيع، وأبحروا بسفينته وسط أمواج القمع والإرهاب والملاحقة، وظروف التقية المشددة.

فكان بعض علماء الشيعة يجتهد ليلاً نهاراً في إخفاء ما لديه من مصنفات، وتعرض بعضهم للسجن أو التعذيب أو الملاحقة والتشريد من أجل

(١) البلدان: ٢٥٣.

كتاب صنّفه، أو فكرة تبناها، أو قصيدة قالها في أهل البيت عليهم السلام. ولولا أولئك الأسلاف، ووفاؤهم لأئمة أهل البيت عليهم السلام وقبل ذلك كله رعاية الأئمة عليهم السلام لشيعتهم، وحرصهم عليهم، لكان التشيع اليوم خبراً من أخبار الماضي، كما حصل للكثير من الفرق والجماعات عبر التاريخ.

نتيجة البحث:

نتيجة لما تقدم، نجد أن هنالك صورتين، يعكسهما تياران متنافران: تيار أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وتيار مخالفيهم وأعدائهم، وهما كما يلي:

الصورة الأولى: عن معاوية وأتباع معاوية، والعباسيين وأمثالهم، وحاصلها أن أهل العراق، لا سيما الكوفة، هم: أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق. أهل كفر وسحر، **فجّار فسّاق، ملحدة مُرّاق، محرنجم النفاق، ومستقر الشقاق،** بنو اللكيعة، وعبيد العصا، وبني الإماء. **عش النفاق وبيضته التي تفلقت عنه.** سبئية خشبية، أهل المدرة الخبيثة، قرن الشيطان ومسكنه، قتلوا علياً عليه السلام وخذلوا الحسن عليه السلام وخدعوا الحسين وغروه ثم قتلوه. غارقون في النفاق والغدر والخديعة

حتى صار ذلك ديدنهم وسجيتهم التي تنتقل عبر (الجينات) الوراثية، ملعونون مطرودون، ليس لهم سوى القتل والسبي والتنكيل. كما أنهم يدّعون التشيع لعلي وأهل البيت عليهم السلام لكنهم كاذبون، وأهل البيت عليهم السلام منهم براء يُكثرون منهم الشكوى والتظلم والدعاء عليهم وذمهم. أما علي وأبناؤه فليسوا من أهل الحكم والسياسة، ولا من أهل السلطة والرئاسة.

الصورة الثانية: عن أهل البيت عليهم السلام في العراق وأهل الكوفة، وحاصلها: أنهم: **الشعار دون الدثار، وأن الكوفة أكثر الأمصار حباً للنبي وأهل البيت عليهم السلام وأن أهل الكوفة هداهم الله لأمر جهله الناس، فقد أحبوا أهل البيت عليهم السلام وصدقوهم واتبعوهم، بخلاف سائر الناس، فجعل الله محياهم محيا أهل البيت ومماتهم مماتهم.**

وأن الولاية عرضت على الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة، وأن **الكوفة كنز الإيمان، وحجة الإسلام، وسيف الله ورمحه، يضعه حيث يشاء، وأن الله سوف ينتصر بأهلها، في شرق الأرض وغربها. وهي مدينتهم عليه السلام ومقر ومغرس**

شيعتهم، وهي تربة تحبهم ويحبونها. وأن أهل الكوفة إخوان علي عليه السلام وأنصاره وأعوانه على الحق وأصحابه على جهاد المحلين، وسيفه الذي يضرب به المدبر عن الحق.

وفي نظر سلمان الفارسي المحمدي أنهم: أهل الله، وقبة الإسلام التي يحن إليها كل مؤمن.

هاتان صورتان متناقضتنان للعراق، إحداهما عن أعداء أهل البيت عليهم السلام لا سيما السلطات الحاكمة من الخلفاء والأمراء والولاة، والأخرى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولولا أن الصورة الأولى تسربت إلى بعض مصادر الشيعة التاريخية والحديثية وغيرها، أو دُسّت فيها، ثم انتقلت لبعض المقاتل وكتب السيرة، وتغلغلت في الأشعار والخطب، وصدح بها الكثير من أهل العزاء، حتى أصبحت جزءاً من ثقافة الشيعة، لما احتجنا للكثير من العناء في البحث عن جذورها.

كما أن غياب التحقيق في مثل هذه القضايا لا سيما في النهضة الحسينية، بل حظره ومنعه أحياناً بدعوى أنّ التحقيق في جذور الحوادث

التاريخية المنقولة يجعلنا نفقد أكثرها، فتح الباب على مصراعيه أمام إعادة تسويق ونشر الكثير من الأكاذيب والموضوعات، لا سيما تلك التي تنطوي على خلفيات عقدية أو سياسية أو قومية أو غيرها.

من هنا نقول: لا بد من عرض أي نصّ يردنا عن أهل البيت عليهم السلام أو أحد من شيعتهم، في ذم (أهل الكوفة) أو (أهل العراق)، أو أي تصوير تاريخي لحادثةٍ ما، على هاتين الصورتين، فما وافق الصورة الأولى فهو إما موضوع مكذوب على أهل البيت عليهم السلام أو مُؤوَّل، أو مزور متلاعب فيه. ولا بُد أن يُدرس دراسة دقيقة، من حيث طبيعة ناقليه، والأصل الذي أخذ عنه، ومقارنته بغيره إن وجد، إذ ليس من المنطقي أن يرد عن أهل البيت عليهم السلام الشيء ونقيضه في موضوع واحد.

والحمد لله رب العالمين.

مركز فجر عاشوراء الثقافي
التابع للعتبة الحسينية المقدسة

fajrashura.com